

كنيسة مارجرس بأسبورتج

المحاربات الروحية

الكتاب الأول

ثيوفان الناسك

القمص

لوقا سيداروس



المحاربات الروحانية

١١
توفان الشياطين

الكتاب الأول

بِسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ إِلَهُ وَاحِدٍ آمِينَ

✠ في سر المعمودية المقدسة نلنا نعمة الميلاد الجديد من الماء والروح حسب وعد الرب ، وفي سر المسحة المقدسة خُتمت أعضاؤنا بختم الروح القدس للتكريس وأصبحت كل قوى النفس والجسد معاً مهياً للعمل حسب كلام الرسول بولس «مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢ : ١٠) .

- وبخلنا في شركة مع المسيح ، شركة آلامه وشركة موته وشركة قيامته ... وأصبحنا لا نملك شيئاً حتى من أعضائنا الجسدية ...: « لأنكم لستم لأنفسكم » وبالجمله صرنا « هيكل الله» وأصبح الروح القدس هو الساكن الوحيد « للهيكل» وصاحبه ... ومن هذه اللحظة صارت هيكل الله التي هي نحن معرضة لهجمات العدو الشرير يريد أن يفسد هيكل الله ... والله هو وحده المدافع عن هيكله الخاص ، وهو في كل حين يقول « بيتي بيت الصلاة» .

ويعتبر اضطهاد الهيكل اضطهاداً لشخصه المبارك «لماذا تضطهدني ؟» .

✠ لنعلم جيداً أن الله هو المالك وهو المدافع ... هو الذي

يملك علينا وهو الذى يدافع عنا ، الرب يحارب عنكم وأنتم
تصمتون ، ، الله هو العامل فىنا أن نريد وأن نعمل
من أجل المسرة ، .. لا نقل أننا نعمل بل نقل أن الله يعمل بنا
مسرته وتصيح أصواتنا وصلواتنا وصدقاتنا وكرامتنا ... ليست
أعمال برنا الذاتى بل أعمال أبينا الذى فى السموات وثمر للروح
القدس العامل فىنا .

ونحن نسهر لئلا يسرق أحد اكليلنا ولئلا ندخل فى التجارب
حسب أمر ربنا يسوع ونكون وكلاء أمناء على نعمة الله التى
فىنا .

العدو وطبيعة الحرب :

علمنا ربنا أن نطلب لا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من
(العدو) الشرير ، والعدو الذى يحاربنا دائماً إنما يحارب الله
الساكين فىنا ويقاومه .

- فالعدو لا ينعس بل يحارب بلا انقطاع ولكن الله أيضاً لا
ينسانا: أثناء الحرب « إن نسيت الأم الرضيع الرب لا ينسى » .

- والعدو يحارب كل يوم والرب يقول « أنا معكم كل الأيام
والى انقضاء الدهر » .

- والعدو يكذب ويضلل وربنا يسوع يسند أفكار الكذب والضلال بالحق .

- العدو الشرير لا يعرف اليأس فى قتاله ، يقاتل كل أحد ، حتى القديسين ويقاتل الى النفس الأخير ويقص تاريخ القديسين أنه قبل نياحة القديس مقاريوس الكبير بثلاثة أيام جاء ليحاربه كجولة أخيرة ولكن القديس المتمرن على الحرب والقتال قد غلبه .

هو يحارب فى أثناء قوتنا بأن يسترى الينا أننا أدركنا وصرنا كاملين وفى أثناء ضعفنا باليأس من الحياة ومن الجهاد ومن الوصول إن استرحنا عن حربه فى الجسد يحاربنا بالفكر وإن وجدنا فى وسط الناس يحاربنا ، وإن كنا فى خلوة يحاربنا أيضاً ... فى كل مكان هو يجول ملتصقاً من بيتلعه .

لكننا فى حربنا لا نخاف ولا نجزع بل نثق بالذى يدافع عنا وفيما وينا رئيس خلاصنا أنه قد غلب العدو وأنه يغلب أيضاً .

✠ وهذا الكتاب الذى بين يديك أيها الأخ الحبيب هو بمثابة اللقاء الضوء على معارك العدو الكثيرة لكى لا نجهل أفكاره ولكى نكتشف فخاخه التى يخفيها ولكى نعلم كيف ننجو منها ومن سهام الشرير الملتهبة ناراً ... ومن ناحية أخرى فإن هذا الكتاب كأخبار سارة بانتصار الصفوف الأمامية التى سبقتنا لكى نتشدد

وتتقوى ولكي لا نكل في الجهاد ولا نخز في الطريق ، والقديسون بالنسبة لنا هم المحاربون القدامى الأشداء في الحروب التي قادهم فيها ربنا بكل نصره ، والذي كلهم بأكاليل لا تدبل هو إلهنا الذي يعطى أيضاً ليس لهم في فقط بل ولجميع الذين يغلبون لأنه لا يكل أحد إن لم يجاهد قانونياً .

✠ نشكر إلهنا من أجل هذه الخبرات الروحية في الحرب التي تقودنا نحن السائرين في الطريق الى أن نختبر في كل يوم أن « الفخ انكسر ونحن نجونا، فنتهلل ونقول « قوتي وتسبحتي هو الرب، « لا يسلم رجلك للزلل، « أعدائي عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا .

وقد تعب في ترجمة هذا الكتاب أحد رهبان دير السريان العامر ، الرب قادر أن يعوضه أجراً صالحاً سمائياً ويكمل جهادنا ببركة القديسين بالصلوات والطلبات التي تصنعها عنا كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وكل مصاف القديسين .
أمين .

الكنيسة

٨ أبيب ١٦٨٤

٥ يوليو ١٩٦٨

عيد نياحة القديس الأنبا بيشوى الرجل الكامل :

مقدمة

هذا الكتاب المفيد للنفس يمكننا أن نسميه « المحاربات الروحية لهر المرئية» لأن كثيراً من أسفار الكتاب المقدس سواء من العهد القديم أو الجديد يلاحظ أن عناوينها مطابقة للموضوعات التي اختصت بها . فسفر التكوين مثلاً سُمي هكذا لأنه يتكلم عن خلق العالم وابداعه من العدم ، والخروج سُمي هكذا لأنه يصف خروج بني اسرائيل من أرض مصر ، وسفر اللاويين سُمي هكذا لأنه يهوى الممارسات الطقسية ونظم العبادة المقدسة للاويين كهنة الرب ، وأسفار الملوك سُميت هكذا لأنها تتكلم عن حياة وحوادث ملوك يهوذا واسرائيل ، وكذلك البشائر الأربع سُميت هكذا لأنها تتحدث عن الفرح العظيم وبشرى الخلاص للعالم بميلاد المخلص لأنه ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب» لو ٢ : ١٠ ، ١١ ، مظهراً للجميع طريقاً أكيداً للخلاص وهبات الحياة فى النعيم الأبدى .

ولما كان هذا الكتاب يتحدث لا عن فن المحاربات الحسية المنظورة أو أعدائنا الجسدانيين المرئيين فقط بل حتى عن الذين لا نراهم كما يتحدث عن الجهاد الموضوع على كل مسيحي منذ لحظة عماده حتى نهاية حياته لذلك اخترنا أن يكون عنوان هذا الكتاب « المحاربات الروحية» لأنه يتحدث عن محاربات روحية

كثيرة مثل أوجاع وشهوات الجسد بكل أنواعها ، كما يتحدث عن حروب الشياطين الشريرة التي تحقد على الانسان ولا تكف عن محاربتة نهاراً وليلاً هذه الحرب التي يصفها القديس بولس الرسول بقوله : « فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر . مع أجناد الشر الروحية فى السماويات ، أف ٦ : ١٢ . ويوضح لنا هذا الكتاب أن المسيحيين هم جنود هذه الحرب وقائدهم هو ربنا يسوع المسيح ويرافقه ويحيط به الرؤساء والقوات أى طغمت الملائكة والقديسين . وميدان المعركة حيث تنور الحرب هو قلبنا ، انساننا الداخلى ، وزمان المعركة هو طول الحياة .

وبماذا يتسلح محارب هذه الحروب الروحية ؟
اسمع ، إن : خوذتهم هى عدم ثقتهم بنواتهم و عدم اعتمادهم على أنفسهم بل على الله العامل فيهم . ويعضدهم إيمان قوى بالله وثقة شديدة فيه .

عدتهم وصدرتهم هى النمو فى آلام المسيح .

منطقتهم هى قطع الأوجاع الجسدية .

حذائهم الاتضاع والإحساس والتذكر الدائم فى ضعفهم

لئلا يتكبروا فيسقطوا .

هي مناخس أرجلهم هي الصبر في التجارب وعدم المبالاة
بالإهانات والإضطهادات .

يس سيفهم الذي يقبضون عليه في إحدى أيديهم دائماً هو
الطاعة بلفة طاهرة أو برفع القلب الى الله .

" هربتهم ذات الثلاثة شعاب التي يقبضون عليها بيدهم
الآخرى هي الرفض وعدم الاستكانة والعزم الأكيد على
هم مهانة العدو وقبول عروضه التي يحاول بها هزيمتهم ، بل
تفوقها عنهم في شجاعة وقوة .

مؤونتهم وطعامهم في مقاومة عدوهم هو دوام شركتهم
مع الله بواسطة سر التناول المقدس .

أما عن المنظار الذي يمكنهم أن يروا عدوهم من بعيد
هو تدريب الذهن باستمرار في معرفة ما هو حسن في عيني
الرب ، وتدريب الإرادة في أن لا ترغب إلا فيما هو مرضى عند
الله .

التمييز في الحرب :

إننا هنا في المحاربات الروحية وبالأحرى في حروب الرب
نحتاج أن نميز - كجنود مدربين - الهرب من المكائد المختلفة ،
والحيل العديدة ، والخطط الشيطانية التي يستخدمها عدونا عن

طريق الحسيات الرديئة والهواجس الشيطانية ، أو عن طريق انعدام خوف الله من قلب الانسان وعلى وجه الخصوص عن طريق التجارب التى يدخلها الي القلب لحظة الموت - أعنى تجارب التشكك ، اليأس ، المجد الباطل ، وظهور الشياطين أنفسهم بهيئة ملائكة نور .

ومن يتعلم أن يميز كل هذا يتعلم أيضاً كيف يبطل مكائد العدو ويقاومها ، ويعرف الخطة التى يسير عليها ، وقوانين الحرب التى يتبعها فى كل حالة من الحالات ، والشجاعة التى يحتاجها ليدخل فى المعركة .

وبالاختصار أقول ، إن كل انسان يريد الخلاص سيتعلم من هذا الكتاب كيف يغلب أعداءه الروحيين ، ويحصل على كنز الفضائل الإلهية الحقيقية ، وينال الإكليل الذى لا يفنى ، ووسام الأبدية الذى هو الاتحاد مع الله فى هذه الحياة وفى العتيدة أيضاً .

تعلم كيف تجاهد :

لذلك أيها القارئ المحب للمسيح ، اعتبر هذا الكتاب نعمة وفرحاً وإذ تتعلم منه فن المحاربات الروحية جاهد ليس لمجرد القتال فقط بل جاهد جهاداً قانونياً كما ينبغى كى تكمل لأن

الرسول يقول : « ان كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً ، ٢ تى ٢ : ٥ . سلح ذاتك بالكيفية التى يوضحها لك هذا الكتاب كى تهزم أعدائك الداخليين وغير المرئيين الذين هم أوجاعك المهلكة للنفس وجنورها ومسبباتها . « البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد ابليس ، أف ٦ : ١١ . تذكر كيف أنك فى المعمودية المقدسة تعهدت أن تجحد الشيطان وكل أعماله وأفكاره وكبريائه ، أى أن ترفض الشهوة ، محبة المجد العالمى ، محبة الفضة ، والأوجاع الأخرى . لذلك جاهد بكل قدرتك لكى تخزيه وتدحره وتغلبه بكل كمال .

من يغلب ؟

ثم ما هى المكافآت التى تنتظرك لو أحرزت هذا الانتصار ؟ إنها كثيرة وعظيمة استمع اليها بغم الرب نفسه الذى قال :
« من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله ، رؤ ٢ : ٧ .
« من يغلب فلا يؤذيه الموت الثانى ، رؤ ٢ : ١٢ .
« من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى ، رؤ ٢ : ١٧ .

« من يغلب ويحفظ أعماله الى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم وأعطيه كوكب الصبح ، رؤ ٢ : ٢٦ ، ٢٨ .

« من يغلب فنك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو
اسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبى
وأمام ملائكته ، رؤ ٣ : ٥ .

« من يغلب سأجعله عموداً فى هيكل الهى ، رؤ ٣ :
١٢ .

« من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى ،
رؤ ٣ : ٢١ .

« من يغلب يرث كل شئ وأكون له الها وهو يكون
لى ابناً ، رؤ ٢١ : ٧ .

أنظر يا للعطايا !! أنظر يا للهبات !! أنظر تاج عدم الفساد
وهذه الاكاليل المعدة لك أيها الاخ إن كنت تغلب الشيطان . اجعل
هذا هو هدفك الآن ، خذ على عاتقك هذا العمل وامتنع عن كل
الأشياء التى تعوقك لئلا يأخذ أحداً اكليلك ، رؤ ٣ : ١١ .

لأنه حقاً من العار جداً بالنسبة لك أن ترى الذين يتسابقون فى
الاعباب يمتنعون عن كل شئ معوق بكل تدقيق كي يحصلوا على
اكليل يقنى من الزيتون أو السعف أو التبن أو الكافور أو الريحان ،
أو من أى نبات آخر ، ولكن أنت الذى تستطيع أن تنال اكليلاً لا
يفسد . تضيع حياتك فى الإهمال والتوانى ، وحتى كلمات براس

الرسول لا توقظك من نومك حين يقول : « أستم تعلمون أن
الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن
واحداً يأخذ الجعالة ، هكذا اركضوا لكي تنالوا . وكل
من يجاهد بضبط نفسه في كل شيء . أما أولئك فلكي
يأخذوا اكليلاً يفنى أما نحن فاكليلاً لا يفنى ، ١ كو ٩ :
٢٤ ، ٢٥ . ان أحرزت هذا النصر ونلت هذا الاكليل البهي بدافع
الغيرة ، لا تنسى يا أخى أن تصلى الى الرب من أجل غفران
خطاياك الذي ساعدك لتصل الى مثل هذه البركات بواسطة
هذا الكتاب . ولكن قبل كل شيء لا تنسى أن ترفع عينيك الى
السماء وترسل شكراً وحمداً لمعينك الأول وسبب نصرتك ربنا
وقائدنا يسوع المسيح قائلاً له مثل زبابل منك تأتي النصره ...
وأنت هو رب المجد ، وأنا خادمك : مكرراً كلمات داود : « لك يا
رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد الى
أبد الأبدين آمين ، أخبار الأيام الأولى ٢٩ : ١١ .

نيقوديموس من جبل اثوس

+ + +

ما هو الكمال المسيحي ؟ الجهاد ضروري لأدراك هذا الكمال أربعة أمور لازمة للنجاح في هذا الجهاد

كلنا نود بل ونريد أن نحيا في الكمال ، وقد أمرنا الرب به في قوله « كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل ، مت ٥ : ٤٨ . وينبهننا بولس الرسول الى ذلك فيقول « كونوا أولاداً في الشر وأما في الأذهان فكونوا كاملين ، ١ كو ١٤ : ٢٠ . ويقول في موضع آخر : اثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله ، كو ٤ : ١٢ . وأيضاً « لتتقدم الى الكمال ، عب ٦ : ١ . وهذه الوصية عينها كانت موجودة في العهد القديم فلقد قال الرب في سفر التثنية (١٨ : ١٣) تكون كاملاً لدى الرب الهك . وينصح داود واعبده بقلب كامل ونفس راغبة ، أي ٢٨ : ٩ . فبعد هذا كله يمكننا أن نؤكد أن الله يريد ملء الكمال من المسيحيين ، أي أنه من الواجب علينا أن نكون كاملين في كل الفضائل .

ولكنك يا قارئى المحبوب فى المسيح ، إن أردت أن تصل الى مثل هذه الدرجات العالية فيجب عليك أولاً أن تعرف فى أى شئ يكون الكمال المسيحى لأنك إن لم تعرف هذا ربما تتحرف عن الطريق الصحيح ، وتدخل فى طريق يختلف عن الطريق الذى ينبغى أن تسير فيه وتظن أنك تتقدم نحو الكمال .

أقول لك بكل وضوح : ان أكمل وأعظم شئ يريد الانسان أن يصل اليه هو الاقتراب الى الله والالتصاق به .

كثيرون يقولون إن كمال الحياة المسيحية الكائن فى تداريب أصوام وأسهار ومطانيات (وهى السجود لله الى الأرض دفعات كثيرة متواترة مع ترديد صلاة قصيرة) ، أو النوم على الأرض المجردة ، والممارسات الجسدية الخشنة المشابهة .

وأخرون يقولون إن الكمال المسيحى كائن فى ترديد صلوات كثيرة فى البيت والمواظبة على حضور الخدمات الطقسية الطويلة فى الكنيسة ، وأخرون يظنون إنه كائن كلية فى الصلاة العقلية ، مع التوحد والاختلاء والصمت ... ولكن الغالبية يحددون الكمال فى التطبيق الدقيق لكل المطالب والقوانين دون زيادة أو نقصان حافظين طريق الاعتدال الملوكى (١) . ومع ذلك فكل هذه الفضائل

(١) أى لا يتطرف الانسان تطرفاً يمينياً أو يسارياً بل يحفظ توازن نفسه فى مسلكه الروحى لئلا يخرب نفسه .

لا تحوى الكمال المنشود فى ذاتها ، بل أنها مجرد وسائل لبلوغه .

لا شك انها وسائل فعالة توصل الى كمال الحياة المسيحية فإننا نرى الكثيرين من نوى الفضيلة بمارسونها كى ينالوا قوة ضد طبيعتهم التى فسدت بالخطية وقدرة للتغلب على أهوائهم الخاطئة الشريرة . ويمارسون هذه الفضائل أيضاً لكى تتولد فى قلوبهم الشجاعة ليقاوموا تجارب ومكائد أعدائنا الثلاثة الرئيسية: الجسد والعالم والشيطان . وليحصلوا على المعونة الروحية بواسطة هذه الوسائل وممارستها .

ضرورة الفضائل

إنها ضرورية جداً لكل خدام الله ، وللمبتدئين على وجه الخصوص . من الضرورى أن يصوموا ليقمعوا أجسادهم ، وأن يتدربوا على السهر لتكون بصيرتهم الداخلية أكثر حدة ، وينامون على الأرض المجردة لنلا ينحلون أثناء النوم ، ويريطون ألسنتهم بالصمت ، ويختلون وحدهم كثيراً ليتجنبوا أقل تدخل يعيق حضور الله الكلى القداسة اليهم . انهم يتلون الصلوات ، ويواظبون على الخدمات الكنسية، ويتمموا الأعمال التقوية الأخرى ليحفظوا عقولهم فى السماويات كما يقرأون فى حياة المخلص له المجد وآلامه من أجل الغرض الوحيد ، أى ليتحققوا من عجزهم

وضعفهم بوضوح ، كذلك يتأكدوا من رافات إلهنا وعظم حبه
وبرحمته ليتعلموا ويشبهوا أتباعه حاملين صليبه ناكرين نواتهم ،
ولتلتهب قلوبهم بحب الله أكثر فأكثر .

الفضائل ليست هدفا- لكنها وسيلة

ولكن من ناحية أخرى فإن هذه الفضائل عينها قد تتسبب
في ضرر من يأخذونها هدفاً لحياتهم ، ورجاءهم
الوحيد . وهذا الأمر ليس العيب فيه في الوسائل (الفضائل) ،
ولكنه سوء استعمال لها ، لأن هذه الوسائل مقدسة وبارة في
حد ذاتها . أما الذين يمارسون هذه الفضائل في الظاهر
خارجياً فقط ، تاركين قلوبهم تتحرك بسبب مشيئاتهم الخاصة
ومشورات الشيطان ، يفرح إبليس بهم ويضطرب إذ يرى أنهم قد
تركوا الطريق الحقيقي ، ويكف عن التدخل في نشاطهم الجسدي
بل يسمح لهم أن يزيبوا ويضاعفوا مجهوداتهم طاعة لتفكيرهم
الباطل . هؤلاء الناس إذ يختبروا مع هذا التهايات روحية معينة ،
وتعزيات ، يتصورون أنهم قد بلغوا الحالة الملائكية ويشعرون أن
الله ساكن فيهم . وفي بعض الأوقات يستغرقون في تأملات
عاطفية غير روحانية وغير أرضية فيهبأ لهم أنهم قد ارتفعوا كلية
عن مجال هذا العالم واختطفوا الى السماء الثالثة .

عيوب الممارسات الشككية للفضائل

على أية حال إن أى شخص يمكنه أن يرى بوضوح خطأ
مسئلكم بنظرة واحدة الى حياتهم وطباعهم . ليعرف كيف أنهم
يبينون عن الكمال الحقيقى . وبصفة عامة نراهم دائماً :

✚ يريدون أن يكونوا مفضلين عن الآخرين ويحبون أن يعيشوا
بحسب ارادتهم الخاصة .

✚ وهم دائماً عنيدين فى قراراتهم .

✚ عميان بالنسبة لكل شئ يتصل بهم ، ولكنهم يبصرون
بوضوح وبجسارة فضولية كلمات الآخرين وأعمالهم .

✚ إن مدح أحد آخر غيرهم بأمر يعتقدون أنهم قد أحرزوها لا
يستطيعون أن يحتملوا ويناصبوه العداة بوضوح .

✚ وإذا تدخل أى شخص معهم فى أعمالهم التقوية ونسكياتهم
- لا سيما فى حضرة الآخرين فليحفظنا الله - يصيرون حانقين
ويغنون من الغيظ ويفقدون هدوتهم .

الله يكشف للإنسان الطريق

وإن يشتاق الله أن يعرفوا نواتهم كى يسيروا فى طريق
الكمال الحقيقى ، يسمح لهم بالتجارب والأمراض ، أو يسمح بأن
يضطهدوا فعادة يختبر الله خدامه الحقيقين الصادقين عن طريق

هذه الوسائل فهذا الاختبار يظهر على الفور ما هو مختبئ في قلوبهم ، وكم فسدوا بسبب الكبرياء . لأن أى تجربة تأتى عليهم برفضون أن يحنوا أعناقهم بسببها تحت نير إرادة الله ، ولا يثقون فى أحكامه وعدله . انهم يرفضون أن يتبعوا مثال ربنا يسوع المسيح ، ابن الله الذى وضع نفسه وتآلم لأجلنا ، ولا يريدون أن يتضعوا ليعتبروا أنفسهم أدنى كل المخلوقات ، وأن يعتبروا مضطهديهم كأصدقاء صالحين يستخدمهم الله لبنيانهم والمساعدة على خلاصهم .

وهكذا يتضح لنا أنهم فى خطر عظيم ، إذ قد اظلمت عيونهم الداخلية ، أى عقولهم إذ ينظرون الى نواتهم بهذه النظرة الخاطئة ، ظانين أن أعمالهم التقوية الخارجية هى كل الصلاح ويتصورون أنهم قد وصلوا الى الكمال . فينتفخون فى نواتهم ويدينون الآخرين . ويعد هذا يستحيل على أى انسان أن يرجع مثل هؤلاء الناس الى طريق الصواب إلا بتأثير خاص من نعمة الله . ان الخاطئ الواضح والمعروف يمكن أن يتحول الى الصلاح بأكثر سهولة من الذى يخطئ سراً وهو مختبئ ، تحت قناع فضائل منظورة .

الكمال الحقيقي

والآن بعد أن رأينا بوضوح أن الحياة الروحية ، والكمال المسيحى لا يكون فى الفضائل المظهرية التى تحدثنا عنها . علينا أن نعرف أيضاً أنها لا تكون فى أى شئ سوى :

- ١- الاقتراب من الله والاتصاق به كما قيل من البداية .
- ٢- ادراك من صميم القلب بصلاح الله وعظمته .
- ٣- الاحساس باننا لا شئ واننا قابلون للخضوع لكل شر .
- ٤- حبنا لله .
- ٥- كراهية الخطية التي تفصلنا عن الله ولكل خليقته حباً فيه .

٦- تركنا لكل مشيئة خاصة وطاعة كاملة لإرادة الله .
 وبالأكثر ممارسة هذا كله بقلب نقي ولجد الله (١ كو ١٠ :
 ٣١) لا من أجل شئ بل من أجل الرغبة الواضحة الصريحة
 لإرضاء الله ولأن هذه هي ارادته وحده ، لأننا نحبه ونعمل كل
 شئ من أجله .

هذا هو قانون الحب ، مكتوباً باصبع الله ذاته في قلوب
 خدامه الحقيقيين هذا هو ترك نواتنا لعمل نعمته لأن الله يطلب
 منا هذا . هذا هو نير يسوع المسيح المبارك وحمله الخفيف . هذا
 هو التسليم لإرادة الله ، هذا الذي يطلبه منا فادينا ومعلمنا
 سواء بكلمته أو بمثاله . ألم يطالبنا سيدنا ورئيس خلاصنا ربنا
 يسوع المسيح أن نقول حين نصلى للآب السماوي أبانا ... لتكن
 مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض (مت ٦ : ١٠) ؟ أو
 لم يعبر هو ذاته في ليلة الآمه عن هذه الحقيقة في قوله « لتكن لا

ارادتي بل ارادتك « لو ٢٢ : ٤٢ أو لم يقل عن كل عمله لأنى قد
نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذى أرسلنى ؟
(يو ٦ : ٣٨) .

الطريق الى الكمال المسيحى

ألا ترى الآن يا أخى أن هذه كلها وسائل ؟ اننى أعرف أنك
تبدى استعدادك وتشتاق أن تصل الى علو هذا الكمال . فلتكن
غيرتك مباركة . ولكن أعد نفسك أيضاً للعمل ، للعرق والجهاد
من بدء خطواتك الأولى فى الطريق . عليك أن تقدم كل شئ لله
وتعمل مشيئته فقط . ستقابل فى نفسك أهواء كثيرة و ارادات
ومشيئات عديدة تصرخ طالبة اشباعها غير مراعية ما إذا كانت
توافق ارادة الله أم لا فلكى تصل الى هدفك المنشود من
الضرورى أولاً أن تخضع ارادتك وتتخلص من أهوائك الخاصة .
أما النجاح فى هذا فيتوقف على معارضتك باستمرار لكل شر
فيك وغصبك لذاتك لعمل الصلاح أعنى أن تحارب ضد ذاتك بلا
توقف وضد مسببات الآلام ومثيريها فاعد نفسك لهذا الجهاد
ولتلك الحرب واعلم أن الاكليل - أى بلوغ الهدف المنشود - لا
يعطى إلا للباسل من المحاربين المجاهدين .

ولكن إن كان هناك صعوبة فى الحرب فذلك لأننا نحارب
ضد نواتنا ونجد المعاكسة من نواتنا . هكذا أيضاً يكون فى هذه

الحروب الانتصار أعظم مجداً من أى مجد آخر ، أى انتصار
يحزره الانسان يكفى أنه أكثر شئ يسر به الله .

انك إن انتصرت مدفوعاً بالحماس وأمت أهواك الدنسة ،
وشهواتك ورغباتك فإن الله يسرك كثيراً . إذ تعمل لأجله
بصورة أكثر جمالاً مما لو أدميت جسدك بالجلد وأتعبت نفسك
بالأصوام أكثر من سواح البرية وحتى لو خلصت مئات من
العبيد المسيحيين من أسرهم وأطلقتهم الى الحرية فهذا لا
يخلصك أنت إن بقيت عبداً لأهوائك الرديئة وأى عمل مهمل كان
مجيداً ، ومهما كانت تضحيتك فيه لا يوصلك الى هدفك المنشود
إن تركت أوجاعك ولم تلتفت اليها ، تاركاً لها حرية العيش والعمل
فيك .

أخيراً بعدما عرفنا ماذا يحويه الكمال المسيحي ، وعرفنا أنه
علينا أن نشن حرباً قاسية ضد أنفسنا كي نصل اليه . فإذا
أردت حقاً أن تنتصر في هذه المحاربات الروحية وتنال الاكليل
عليك أن تضع هذه المبادئ الروحية الأربعة أمامك وأن تكون في
قلبك مستعداً بها دائماً لأنها سلاح لا يقهر وموثوق به أكثر من
الجميع ...

- أ- لا تعتمد على ذاتك في أى شئ (انكار الذات) .
- ب- أحمل دائماً في قلبك ثقة شديدة وكاملة بالله وحده .
- ج - جاهد بلا توقف .
- د- كن في صلاة دائمة .

لا تعتمد على ذاتك (على الانسان ألا يتكل على نفسه ، أو يثق بذاته في أي شيء)

إن عدم الاتكال على نواتنا أمر ضروري جداً في جهادنا يا
أخانا ، لأنه بدون هذا تاكد انك ستفشل في بلوغ انتصارك
المرجو ، وستكون غير قادر أن تقاوم أقل هجوم من العدو
فضع هذا في أعماق عقلك وقلبك .

منذ أن تعدى آدم الوصية وسكنت الخطية فينا مسببة لنا
ضعفاً في قوانا الروحية والأخلاقية فإننا على الرغم من كل هذا
اعتدنا أن ننظر الى نواتنا نظرة متعالية ، مع أن الخبرة العملية
تبرهن لنا كل يوم زيف هذه النظرة ، والحقيقة أننا مخذوعون في
أنفسنا ونحن غير مدركين ، ولا نكف أن نعتقد باستمرار اننا
شيء، وشئ هام . إن هذا المرض الروحي من الصعب تمييزه
وإدراكه إلا أنه ممقوت جداً من الله أكثر من أي شئ آخر فينا
لأن هذا المرض هو الابن البكر للذاتية ومحبة النفس ، وهو أصل
وجنود وسبب كل أوجاعنا وسقطاتنا وأفعالنا الرديئة . انه يفلق
باب عقولنا وأرواحنا ويحجز سائر النعم الإلهية من أن تدخل .

ان الاتكال على النفس لا يُعطى مجالاً للنعمة أن تسكن في الانسان ولذا فإنها ترفض أن تعمل فينا ، لأنه كيف تقدر النعمة التي تأتي لتساعدنا وتثيرنا أن تعمل في الانسان الذي يظن في نفسه أنه شيء عظيم ، وأنه يعرف كل شيء من تلقاء ذاته ولا يحتاج الى أى معونة خارجية ؟ - فليحفظنا الرب من هذا المرض والوجع الذي لإبليس . ان الله يعنف أولئك المغلوبين بهذا الوجع الذي هو المجد الباطل ، وتوقير الذات قائلاً بالنبى : « ويل للحكماء فى أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم، اش ه : ٢١ . ويحذرننا الرسول قائلاً : « لا تكونوا حكماء عند أنفسكم، رو ١٢ : ١٦ .

النعمة الإلهية تسند جهادنا

والله نفسه إذ يبغض جداً هذا التقدير الخاطى لنواتنا . لا ينب ولا يرغب أن يرى فينا أكثر من احساس صادق بأننا لا شيء، واقتناعاً عميقاً وقوياً بأن أى صلاح قد يوجد فى طبيعتنا أو حياتنا يأتى منه وحده وحيث أن الله هو مصدر كل خير ، وأن لا شيء من الخير الحقيقى يمكن أن يأتى من نواتنا سواء كان فكراً صالحاً أو عملاً خيراً .

لذلك حرص الله على أن تكون هذه البذرة الصالحة مفروسة فى قلوب أحبائه الصديقين . فيحثهم ألا يعطوا قيمة

لأنفسهم ولا يثقوا في نواتهم ، وتارة يفعل هذا عن طريق عمل
النعمة والاستشارة الداخلية ، وتارة أخرى عن طريق الضربات
والشدائد . أحياناً بواسطة تجارب لا تقهر ، وأحياناً بوسائل
أخرى خفية لا ندركها نحن .

إن عدم توقع أى صلاح من أنفسنا ، وعدم الاتكال على
نواتنا شئٍ تعمله النعمة فينا ، إلا أنه علينا من جانبنا أن نبذل كل
الجهد ، ونفعل كل ما بوسعنا كي نصل الى هذا الاستعداد ...
لذلك أقدم لك يا أخى أربعة تداريب بواسطتها وبمعاونة الله تصل
الى عدم الاتكال على نفسك وتتعلم أن لا تثق فى ذاتك فى أى
شئ :

أ- تحقق أنك لا شئٍ ، وضع فى ذهنك دائماً أنك لا تستطيع
من نفسك أن تصنع أى صلاح يستحق ملكوت السموات . تذكر
أقوال الآباء الكثيرة فمنهم من قال : « ليس أفضل من أن يعرف
الانسان ضعفه وجهله ، وليس أسوأ من يتنكر انسان لهما ،
ومنهم من قال : « إن أساس كل فضيلة هو معرفة الانسان
ضعفه » . ولقد قال القديس يوحنا ذهبى الفم : « ذاك يعرف
نفسه حق المعرفة من اعتبر نفسه لا شئٍ » .

ب- اطلب معاونة الله باستمرار بصلوات حارة متضعة ،
لأن معرفة الانسان ضعفه هى نعمة من الله . فإن أردت

الحصول عليها ، وظن في نفسك أولاً اقتناعاً راسخاً بأنك لا تملك هذا الاحساس في داخلك ، بل وأنت لا تستطيع أن تصل اليه عن طريق محاولاتك الخاصة ، حينئذ تكون واقفاً بجسارة أمام الله العظيم بإيمان ثابت انه في رحمة حبه العظيم سيمنحك هذه المعرفة عن نفسك وهو وحده يعرف متى يعطى لك هذه المعرفة وكيف يعطيها . لا تدع أدنى شك يتسرب اليك في أنك ستأخذها حتماً .

ج - عوّد نفسك أن تكون حذراً وخائفاً من أعدائك العبيدين الذين لا تقدر أن تقاومهم ولو لوقت قصير . خف من خبراتهم الطويلة في محاربتنا ومن مكرهم وفخاخهم وقوتهم في أن يأخذوا هيئة ملائكة نور واحذر من مكائدهم وشباكهم العديدة التي يبسطونها سرّاً في طريق حياتك في الفضائل .

د- إذا سقطت في تعدٍ ما ، ارجع بسرعة الى معرفة ضعفك وكن على حذر منه ، لأن الله يسمح بسقوطك كي يجعلك أكثر حرصاً ضد ضعفك وحتى تتعلم أن تحتقر ذاتك ، وليس هذا فقط بل من أجل ضعفك الشديد يكون لديك الرغبة أيضاً أن تكون محتقراً من الآخرين أيضاً . واعلم أنه بدون هذه الرغبة استحيل أن يتولد فيك فضيلة جحدك لذاتك وتبقى متأصلة فيك هذه الذات .

هذا هو أساس وبداية الاتضاع الحقيقي المبني على الاختبار
العملي لقصورك ووهنك وضعفك الشديد .

من هذا يرى كل واحد منا ضرورة معرفة الانسان ، الذي
يهدد الاشتراك في النور السمائي بذاته . وكيف يرحم الله
المكبرين والمعتدين بنواتهم الى معرفة ضعفهم حتى عن طريق
سماحه بأن يسقطوا . فإنه بعدل يسمح بسقوطهم في نفس
الخطية التي ظنوا أنهم قد تحصنوا ضدها ، لكي يعرفهم
ضعفهم ، ويمنعهم من اعتمادهم على نواتهم بجهد سواء في
هذا أم في غيره .

رغم أن هذه الطريقة فعالة جداً ، إلا أنها ليست بلا خطورة
وغالبا لا يستخدمها الله إلا بعدما تفشل كل الوسائل الأخرى
التي ذكرناها لأنها طبيعية وأكثر سهولة في قيادة الانسان الى
معرفة ذاته . ولكن إن فشلت يترك الانسان ليسقط في خطية
كبيرة أو صغيرة بحسب درجة كبريائه واعتداده بنفسه ، لأنه
حينما لا يكون كبرياء ولا اعتداد بالذات لا تكون سقطات . لذا إن
حدث أنك سقطت فاتضع بسرعة في فكرك عن نفسك وفكر
باساس متواضع عن ذاتك ، وثابر في التضرع الى الله ليعطيك
نوراً حقيقياً كي تعرف أنك لا شيء . وبكت قلبك في عدم الاعتماد

على نفسك لثلاث تسقط مرة أخرى في ذات الخطية أو في خطية
أسوأ منها وأكثر إهلاكاً (١).

أحب أن أضيف : أنه ليس فقط عن طريق
سقوط الإنسان في خطايا معينة يصل إلى معرفة
ذاته بل أيضاً حينما يجرب ببعض الضيقات أو
الأهزان وبالأخص الأمراض الجسدية التي تطرحه
هي الآلام . فعليه أن يفهم في مثل هذه الحالات أنه
يعانى هذا كي يعرف ضعفه حق المعرفة، ولكي
يتضع .

ان الله يسمح بأن تهجم علينا كل أنواع التجارب من
الشیطان ، من الناس ، ومن طبيعتنا الخاطئة - من أجل هذا
الغرض . والقديس بولس رأى هذا في التجارب التي قاساها في
أسييا حين قال : « ولكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت
لكي لا نكون متكلمين على أنفسنا بل على الله الذي
يقيم من الأموات، ٢ كور ١ : ٩ .

(١) أقل خطية كفيلة بهلاك الإنسان في حالة عدم التوبة لأنه ليست خطية
بلا مغفرة إلا التي بلا توبة ولكن ينكر هنا خطايا أكبر وأسوأ من
حيث أن درجة تدنيها للنفس تكون بصورة أكبر .

وسأضيف شيئاً آخر : لو أراد شخص أن يعرف ضعفه من
بهرته العادية في حياته فليلاحظ ما أقول ليس لأيام كثيرة بل
ليوم واحد فقط ، أفكاره وأقواله وأفعاله - ماذا فكر ،
وماذا قال ، وماذا فعل . فسيجد بلا شك أن الجانب الأكبر من
أفكاره وأقواله وأفعاله خاطئة وحمقاء وريئة . هذه التجربة
سويجعله يعرف عملياً ، كم هو ضعيف غير مرتب في ذاته . وإذا
كان راغباً في الخير لنفسه بإخلاص سيدرك ويحس عن طريق
معرفة لضعفه كم تكون جهالته إن اتكل على ذاته وحده أو توقع
النجاح من نفسه ومن نفسه فقط .

+ + +

ثِقْ فِي اللَّهِ

(ثِقْ فِي اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَالرَّجَاءَ بِهِ)

بالرغم من ضرورة عدم الاتكال على مجهوداتنا البشرية فقط في المحاربات الروحية كما قلنا إلا أننا في الوقت نفسه إن سقطنا في اليأس دون أن نجد عوناً آخر ، فمن المؤكد أننا إما أن نهرب فوراً من أرض المعركة أو نغلب ويأسرنا العدو . لذلك فبجانب انكارنا لنواتنا كلية ينبغي أن نشعر من عمق القلب أنه ليس لنا أى متكل نتكل عليه سوى الله ، وأننا منه ومنه وحده نتوقع كل خير ، وكل معونة وكل نصره . فإنه لأننا لا شئ فلا نستطيع أن نتوقع أى شئ من أنفسنا سوى العثرات والسقطات تلك التي تجعلنا لا نعلق أى أمل على نواتنا فقط . ومن جهة أخرى نحن متأكدون دائماً بأن نصرتنا هي من عند الرب إن كنا نسلح قلوبنا بثقة حية فيه ، ويقين لا يهتز ، فسنأخذ معونة من لدنه كقول المزمور « الرب عزى وترسى ، عليه اتكل قلبي فانتصرت » مز ٢٨ : ٨ . والأفكار التالية تساعدك على هذا الرجاء ، فتعال المعونة :

١- إننا نطلب معونة الله . القدير على كل شئ ، والذي يستطيع أن يفعل كل ما يريد ولذا يقدر أن يعيننا .

ب- إننا نطلب معونة الله ، الحكيم والعليم بكل شئ ، إنه يعلم كل شئ بأكمل طريقة ولذا يعرف جيداً ما هو نافع لخلاص كل واحد منا .

ج - اننا نطلب معونة الله الخيّر بصورة لا نهائية ، والذي يأتي الينا بحب لا يعبر عنه ، وهو على استعداد من ساعة الى ساعة ومن دقيقة الى دقيقة أن يمدنا بالمعونة التي نحتاجها للفترة على المحاربات الروحية الدائرة فينا بمجرد أن نركض بثقة أكيدة لنرتقى في أحضانه . لأنه كيف يمكن أن راعينا الصالح الذي ذهب ليبحث عن الخروف الضال لمدة ثلاث سنين ، منادياً عليه بصوت عال حتى يبح صوته ، سالكاً طرقاً وجرّة مخلوعة أشواكاً حتى أنه أهرق كل دمه وأسلم حياته . فإن اتبعه الخروف الآن ، راجعاً اليه وترجى معونته، كيف يمكن ، أن يحوّل نظره عنه ؟ ولا يأخذ خروفه الضال في أحضانه الالهية ! جاعلاً إياه بين صفوف الملائكة السمايين ، مقيماً وليمة ترحيب من أجله؟ وإن كان الله لا يتوقف أبداً عن أن يبحث بحب واجتهاد عن الضال (مثل المرأة الباحثة عن الدرهم المفقود في الانجيل) كيف يمكن أن نتصور أن الله سيهمله الآن حينما يصرخ اليه كخروف ضال يدعو راعيه ؟ ومن يصدق أن الله الواقف على باب قلب الانسان دائماً يقرع مريداً أن يدخل

ويتعشى معه كما فى سفر الرؤيا (رؤ ٣ : ٢٠) من يظن أن نفس هذا الإله سيرفض الدخول ان فتح انسان باب قلبه ودعاه للدخول ؟

د- والطريقة الرابعة التى تولد ثقة شديدة بالرب فى الحياة وتستميل معونته السريعة هو أن تستعيد فى ذاكرتك كل أمثلة المعونة الإلهية كماهى معروضة فى الأسفار المقدسية ، وما أكثرها . وبهذه الطريقة يتضح لنا أنه ليس من انسان يضع ثقته فى الله ويخزى أو يلبث بلا معونة . يقول ابن سيراخ الحكيم :
« تأملوا فى الأجيال الأولى وانظروا من توكل على الرب فخرى ، سى ٢ : ١٠ .

تسلح يا أذى بهذه الأسلحة الأربعة ، وانخل المعركة بشجاعة واستعد للحرب وكن متيقظاً ومقتنعاً تماماً أن النصر ستمنح لك وانك بمساعدتها ستنال بكل تأكيد ثقة فى الله ، وهذه الثقة لن تخيب أبداً فى استمالة معونة الله ، وتوشك بقوة لا تهزم ... وهذا سيولد فيك عدم ثقة فى ذاتك . واننى فى هذا الفصل لا أهمل أى فرصة كى أذكرك أن لا تثق فى ذاتك . لأننى لا أعرف أحداً يستغنى عن أن يذكر بها .

ان توقيير الذات وجع متأصل فينا جداً ومتشابك معنا لأبعد غاية يجعلنا نظن اننا شئ ، إنه وجع مختبئ فى قلبنا كحركة

هبيشة لا تدرك حتى ونحن متأكدون أننا لا نتق في أنفسنا ، وأننا
على العكس ممثلين بالثقة في الله وحده . فلكي نتجنب خداع
القلب هذا ، ونعمل بدون أى اتكال على النفس ، منقادين بالثقة
في الله والقوة التي يعطيها لك . احرص دائماً أن تحتفظ بميل
الى الإحساس والشعور بالضعف يثبت فيك التأمل في قدرة الله ،
واجعل كليهما يسبقان كل عمل من أعمالك .

+ + +

اعرف نفسك

(كيف تعرف ان انسانا يتصرف بشقة كاملة في

الله ولا يعتمد على ذاته)

يظن المعتمدون على أنفسهم دائماً أن ثقتهم كلها في الله معتمدين عليه أبداً ، وأن ليس عندهم أى اعتداد بالذات على الإطلاق . ولكن ليس الأمر كذلك فى الواقع ويمكنهم أن يتأكدوا هذا من تلقاء أنفسهم ان حكموا بما فيهم ، وما يحدث لهم حين يسقطون . فإن كانوا يفتنون لسقطتهم معيرين ومبكتين أنفسهم من أجلها متفكرين هكذا : « سأفعل كذا وكذا كى أهزم سقطتى . وكل شئ سيرجع أفضل مما كان عليه فهذه علامة أكيدة على ثقتهم فى أنفسهم قبل السقوط وقلما اعتمدوا على الله . ولذا فالحزن المتسبب عن سقطتهم لا يكون مصحوباً بأى عزاء . أما إذا كان الانسان غير معتمد على ذاته بل يضع ثقته فى الله فإنه حين يسقط لا يندم كثيراً . ولا يصير فريسة للحزن المفرط ، لأنه يعرف أنها نتيجة عجزه وضعفه ، وفوق كل شئ ضعف ثقته بالله . فتكشف له السقطة حقيقة نفسه وضعف طبيعته وتجعله يتحمل كل مشقة ليزيد من ثقته المتواضعة بالله ويعمقها ، كارهاً الأوجاع الدنيئة المتسببة فى سقطته . فيتحمل آنذاك كل أعمال

التوبة شاعراً أنه أساء الى الله . كل هذا يعمل في هدوء
وسلام ، واذ يتسلح بثقة أكبر في الله ، يطارد أعداءه بشجاعة
وهيالة حتى الموت وسأستطرد مثل بعض الناس إلى ما قلته
سابقاً فإنه بالرغم من ظنهم في أنفسهم أنهم فضلاء وروحانيون
- سرعان ما يبتلعون من الكرب والانزعاج حين يسقطون ولا
يهدون أي سلام في أي مكان وتحت تأثير هذا الغم الشديد
الذي يقاسونه - لا لشيء إلا لتوقيرهم لنواتهم - يجرون إلى
أهائهم الروحيين ليتحرروا من هذا الحمل وربما فعلوا هذا فور
سقطتهم ، وليس لأجل أي سبب سوى الرغبة في أن يفتسوا
بأسرع ما يمكن من وزر الخطية التي أغضبت الله ، ولينالوا قوة
جديدة ليحاربوا بها ضد أنفسهم عن طريق تناول الأقدس
بالتوبة والاعتراف .

+ + +

هل الحزن المفرط فضيلة (فى خطأ من يعتقدون ان الحزن المفرط فضيلة)

من الخطأ أن تنظر الى الحزن المفرط الذى يشعر به بعض الناس بعد ارتكاب الخطيئة أنه فضيلة ، فى حالة ما إذا كان ناتجاً عن كبرياء وعظمة فى الذات ، وهذا على أساس أنهم يعتمدون على أنفسهم كثيراً جداً ، وعلى قواهم الشخصية ، لأنهم إذ يفكرون أنهم شئ هام يهتمون بذلك جداً ، أملين أن يكونوا هكذا بنواتهم . وعندما تريبهم خبرة سقوطهم أنهم ضعفاء ، يصعقون كأناس قابلوا أمراً غير متوقع ، ويبتلعون من الانزعاج وخوار القلب ولأنهم يرون صورتهم التى نقشوها عن نواتهم وهى ساقطة ومنطرحة على الأرض ... بعدما عقدوا عليها الأمانى والآمال .

هذا لا يحدث لإنسان متضع واثق بالله وحده ولا يتوقع من نفسه أى شئ صالح . فحين يسقط فى بعض التعديات يشعر هو أيضاً بثقلها وبحزن ، ولكنه لا ينزعج ولا ييأس لأنه يعرف ان هذا نتيجة لعجزه ووهنه فقد اختبر أن السقطات ليست بالأمور الغير متوقعة أو المستحيلة بالنسبة له .

كيف أتغلب على ذاتي وأتكل على الله ؟ (توضيحات في مجال وحدود عدم الاعتماد على النفس والثقة التامة بالله)

حيث أن كل القوى التي بها نهزم أعدائنا تتولد فينا عن طريق عدم اعتمادنا على أنفسنا وثقتنا المطلقة بالله . فلا بد أن يكون لذلك يا أخى معرفة واضحة عن هذا ، كي تنال هذه القوى وتحفظها متأزرة مع معونة الله فيك . ضع في ذهنك إذاً ولا تنسى : أن ليست كل طاقاتنا وصفاتنا الطيبة سواء كانت طبيعية أم مكتسبة ، ولا المواهب المعطاة لنا بحرية ، ولا المعرفة بالأسفار المقدسة كلها ، ولا أعمالنا التي نعملها من أجل الله واكتسابنا خبرة في هذه الأعمال ولا هذه الأشياء كلها مجتمعة تمكنتنا أن نفعل إرادة الله على الوجه الصحيح . إن كنا أمام أى عمل نتالح على وشك أن نعمله ، وأمام تجربة نريد أن نتجنبها ، أو أمام أى صليب علينا أن نحمله بحسب إرادة الله - أقول فى كل هذه الحالات ، ما لم تأت معونة الهيئة خاصة تلهم القلب ، وما لم نلحظ معونة وقوة كى نكملها لا نقدر أن نعملها كما قال الرب : **لهدونى لا تقدرتون أن تفعلوا شيئاً** ، يو ١٥ : ٥ . لذا يجب علينا خلال كل فترة فى حياتنا ، كل يوم وكل لحظة ، أن

نحفظ مشاعر القلب ثابتة من جهة الاقتناع والاستعداد أن لا نسمح بأن نفكر فى الاعتماد على نواتنا ، والثقة بأنفسنا أمام أى حالة من الحالات .

الله يعرف الوقت المناسب للنصرة

أما من حيث الثقة بالله ، سأضيف ما يلى على ما قلته فى الفصل الثالث : اعلم يا حبيبى أنه ليس أسهل على الله من أن يمنحك نصرة على أعدائك مهما كانوا قليلين أو كثيرين ، سواء كانوا مسنين أقوياء أم حديثين ضعفاء ، ولكن ، له وقته الخاص ونظامه الخاص بكل شئ . ولذا فإن كانت نفس مثقلة بأثام وخطايا كثيرة ، وإن كانت مذنبه بكل جرائم الدنيا ، وتتجست بصورة تفوق الخيال ، وفى نفس الوقت إن كانت بقدر قوتها ودوافعها تبذل كل المحاولات وتستخدم كل الوسائل كى تتحرر من الخطيئة وترجع الى طريق الصلاح وإن كانت غير قادرة أن تثبت فى عمل أى بر مهما كان صغيراً ، ولكنها على العكس تغوص فى الشر فى لجنة الى أخرى أعمق .. فحتى وإن كانت كذلك ، لا ينبغى أن تضعف ثقتها فى الله أو تتباعد عنه . على هذه النفس أن لا تهمل أسلحتها الروحية وأشواقها ، بل يجب أن تحارب وتحارب مجاهدة مع ذاتها ومع أعدائها بكل شجاعته ومحاولاتها التى لا تتوقف عند حد . فاعلم وافهم أن الكل من

الفاشرين فى المحاربات الروحية ما عدا الانسان الذى لا يكف
هن الجهاد ، ويتمسك بثقته فى الله ، فالرب لا يهمل أبداً أولئك
الذين يحاربون فى جيوشه ، رغم أنه أحياناً يتركهم ليعانوا
جروحاً . لذا حارب بشجاعة أكثر أقولها لكل شخص ،
هارب ولا تتراخ ، لأن الجهاد الذى بلا توقف هو كل شئ لكسب
المعركة . إن الله مستعد دائماً بالأبوية والعلاجات للذين آذاهم
الهدوء ، وهو يرسل اليهم المعونة فى الوقت المناسب ليغلبوا
صومهم ، إن كانوا يطلبونه ويرجونه بعزم وثبات ... ثم فى ساعة
معينة لا يتوقعونها سينظرون أعداءهم المتكبرين وقد اختفوا كما
هو مكتوب : كف جبابرة بابل عن الحرب» أر ٥١ : ٣٠ .

+ + +

الوقاية من داء الجهل

كيف ندرب عقولنا لئلا تمرض بداء الجهل ؟

إن كان مبدأ عدم الاعتماد على النفس والثقة بالله لا يمكن إغفاله في مصارباتنا الروحية ، إلا أنه ليس كافياً وحده فإنه بالاضافة اليه علينا أن نقوم بأعمال لها نوع خاص ، ونمارس تداريب من أجل البناء الروحي ، لأننا إن اكتفينا بهذا المبدأ وحده فإننا سوف لا ننتصر فقط بل سنسقط في شر أعظم .

فعلينا أولاً أن نمارس تداريب للعقل والارادة .

يجب أن يتحرر العقل ويحفظ من الجهل الذي يضره جداً ، فإن الجهل يظلم العقل ويعوقه عن معرفة الحق الذي هو صميم عمله وهدف تساميه . لذا يجب أن يدرب كي يصبح لائقاً صافياً قادراً أن يميز بالصواب ما نحتاجه لتتقية أنفسنا من الأوجاع وتزيينها بالفضائل .

توجد وسيلتان بواسطتهما يمكننا أن نعال صفاء الذهن :

✦ الأولى وهي الأكثر أهمية ، الصلاة ، التي عن طريقها نتوصل الى الروح القدس أن يسكب نوره الإلهي في قلوبنا وهذا ما سيفعله بكل تأكيد إن كنا بحق طالبين الله وحده باخلاص ،

حائقين أن نطيع ارادته فى كل شئ ، مسلمين برضى ، وفى كل الامور ، الى نصيحة آبائنا الروحانيين المختبرين ولا نفعل شيئاً بدون مشورتهم .

✦ والطريقة الثانية لتدريب العقل هى أن نفحص الامور ونتمعن بعمق لمعرفةا ، لكى نرى بوضوح ما هو حسن منها ، وما هو ردى ، علينا أن لا نحكم عليها (تلك الامور) بالحس العالمى بل بإرشاد الروح القدس .

أما عن علامات تعمق المعرفة وصحتها وسلامتها هى :

• أنها تمكننا أن نفهم بوضوح أن كل ما يطلبه العالم الأعمى الدنى ويحب زائف ويلا جدوى ونعتبره من كل القلب عديم القيمة .

• أنها ترينا أن مجد واذات وغنى هذا العالم لا شئ وأن كل هذه الامور أباطيل مميتة للنفس .

• ان الافتراءات والاساعات التى يضطهدنا بها العالم هى ذاتها التى تأتى بنا الى المجد الحقيقى .

• وان آلام العالم تؤول بالنسبة لنا إلى أفراح .

• وان مسامحة أعدائنا وصنع الخير معهم هو سمو أخلاقى حقيقى وهى ميزة خاصة للمشابهة بالله .

❖ وان الانسان الذى يحتقر العالم يظهر قدرة أعظم وأقوى من انسان يحكم العالم كله .

❖ وان الطاعة عن رغبة ، عمل يظهر شجاعة الروح وقوتها أكثر من قهر ملوك عظام والسيطرة عليهم .

❖ وان معرفة متواضعة عن الذات مفضلة عن سائر أنواع المعارف الأخرى مهما علت .

❖ وان اخضاع وقطع ميول الانسان الشريرة وشهواته مهما كانت ضئيلة عمل يستحق مديحاً أكثر من هدم قلاع عديدة ، أو غلبة جيوش قوية مجهزة تجهيزاً قوياً ... بل وأكثر من قوة عمل المعجزات واقامة الموتى .

+ + +

لا تتسرع فى الحكم (أسباب حكمنا الخاطئ على الأشياء ، وكيف نكون نكرة صحيحة عن الأمور)

إن السبب فى أحكامنا الخاطئة التى نصدرها على بعض الأمور ، قد ذكرناه سابقاً ، وهو إننا لم ننظر بعمق الى هذه الأمور كى نرى ونعرف ما هى ، بل سرعان ما نميل اليها أو نبغضها من مجرد نظرة أولية مصدرين الحكم عليها بحسب الظاهر ، هذه الأنواع من المحبة والكراهية هى التى تظلم عقلنا ونجعله متحيزاً نى أحكامه . فلا يستطيع أن يكون حكماً صحيحاً واقعياً . فإن أردت يا أخى أن تتحرر من هذا الوجد ، امسك زمام رغباتك (أهوائك) بقبضة من حديد ، ولا تسمح لنفسك بأن تحب شئ أو تكرهه من أول نظرة ، بل امتحنه فى الذهن وحده بكل دقة . فالذهن الذى يفحص الأمور بدقة يبقى فى حالة طبيعية من الحرية والنقاوة . ويتمكن من معرفة الحق وتبينه ، ويستطيع أن ينفذ الي أعماق الشئ لأنه كثيراً ما يكون الشر مستتراً تحت مظاهر جذابة خداعة ، بينما الخير يختبئ أحياناً تحت مظهر ردى .

أما إن تسلطت الأهواء عليك ، فسرعان ما تحب شيئاً ، أو تنفر منه ، حينئذ لا يقدر ذهنك أن يعرفه كما يجب ، لأنه إن كان وجع التحيز يسبق كل تقدير لأي شئ ، فإنه يصير حاجزاً بين العقل والشئ المراد تقديره إذ ذاك يقيّم الذهن ، لأن أحكامه كلها تكون صادرة عن الأوجاع ، ولا يستطيع أن يرى الشئ كما هو فى الواقع . وهذا يقوى التحيز ، وكلما زاد التحيز ، كلما ازداد العقل اضلالاً ، حتى يصل الى الظلمة كاملة . فيصل الوجع الى أقصى مداه فيرى الشخص أن أمراً معيناً هو أحب الأشياء لديه ، أو أكثرها كرهاً بالنسبة له وحده .

فإذا لم يكبح جماح الهوى الذى يجعل أموراً محبوبة وأخرى مكروهة قبل فحصها جيداً ، تفسد قوتا النفس - العقل والارادة - وتكون أحكامهما خاطئة دائماً غائصين لعمق عميق من خطية الى خطية ، ومن ظلمة الى ظلمة .

لذلك راقب نفسك يا حبيبي بكل يقظة وحرص ، واحم ذاتك من التحيز على ضوء :

• الافراز والتمييز .

• كلمات الحق فى الأسفار الإلهية .

• النعمة والصلاة .

• ارشادات أبيك الروحي .

والاستخفاف باعتبارك الخير الحقيقي شراً ، والشر الحقيقي
ظهيراً . وهذا ما يحدث غالباً في حالات معينة التي هي مقدسة
وهي الحالة في حد ذاتها ولكن لم تواتيها ظروف مناسبة مثل :

✦ أن تكون تمت في وقت غير مناسب .

✦ أو في مكان غير مناسب .

✦ أو ليس بالقدر المناسب .

وهكذا تحدث ضرراً ليس بقليل لمن أتموها .

نحن نعرف عن اختيار ، مقدار الآلام التي تحملها البعض من
جهد أفعال مقدسة ونافعة من أجل هذه الأسباب .

+ + +

مرض المعرفة الزائدة (حراسة الذهن من المعرفة الزائدة ، العديمة الفائدة ، والتعريضات البائسة)

كما أنه من الضروري حماية الفكر من الجهل ، هكذا أيضاً من الضروري حمايته بنفس المقدار من العكس ، أعنى المعرفة الزائدة عن الحاجة وحب الاستطلاع ، لانتنا إن حشونا الذهن بالمعلومات والآراء والأفكار التي لا تخرج عن كونها باطلة وغير مناسبة وضارة ، فنحن نشئت قوته . حتي أنه لا يقدر أن يفهم فيما بعد ما هو مفيد لأجل تقويم الذات ولأجل الكمال . لذلك ينبغي أن تتحكم في ميولك بالنسبة للمعلومات عن الأمور الأرضية ، كشخص قد مات من قبل حيث يمكن الاستغناء عنها حتى ولو كان مسموحاً بها .

اجمع عقلك دائماً الى داخل نفسك بكل تركيز ممكن ، واحفظه حراً من التفكير في الأمور العالمية . فلتكن قصص الماضي وأخبار الحاضر كشيء عابر ، وليكن كل تغير في العالم وممالكه كما لو كانت غير موجودة على الاطلاق بالنسبة لك . وإن أحضر لك أى شخص مثل هذه الأخبار لا تعبأ بها بل اطردها

من قلبك وخيالك . استمع الى ما يقوله القديس
باسيليوس : « ليكن الاستماع الى الأخبار العالمية
كطعام الحنظل بالنسبة لك ، ولتكن كلمات
القديسين كالأقراص الممتلئة شهداً ، استمع أيضاً
لكلمات داود : « تكلم معي مخالفاً الناموس بكلام
هذهيان ، لكن ليس كناموسك يا رب ، مز ١١٨ : ٨٥ .

١٠٠ أمل بسمعك فقط الى الأمور السماوية الروحانية وادرس فيها ،
ولا تشتت أن تعرف شيئاً في الدنيا سوى « يسوع المسيح وإياه
مصلوباً » ١ كو ٢ : ٢ . سوى حياته وموته وما يطلبه منك . فإنك
إن فعلت هذا تكون سائراً بالفعل في طريق ارضاء الله الذي
يلتفت اليه كل أخصائه ومحبيه وممن يحبونه ويحاولون صنع
ارادته .

١٠١ أما كل استفسار عن أمور أخرى هو وليد حب الذات ، وطعام
للكبرياء . انها شبك الشيطان وأغلاله حين يرى قوة المنتبهين
لحياتهم الروحية ونيات ارادتهم ، فيشتاق الشيطان أن يهزم
عقولهم عن طريق حب الاستطلاع هذا ، كي يملك عقولهم
وارادتهم . من أجل هذا قد تعود الشيطان أن يلقي بأفكار عالية
وخداعة وغريبة لا سيما لأولئك الأذكياء جداً ، والذين يسهل عليهم

استنتاج تأملات عالية . وحين ينجذبون بواسطة لذة البحث واستقصاء الأفكار العالية ، ينسون الاهتمام بنقاوة قلبهم ، ويأن ينظروا الي أنفسهم نظرة متواضعة كما ينسون اماتة الذات الحقيقية واذ يسقطون فى فخ رباطات الكبرياء والعجب يقيمون لعقولهم تمثالاً . وهكذا قليلاً قليلاً ومن غير أن يدركوا يسقطون فى فكر عدم احتياجهم الى نصيحة أو ارشاد من الآخرين إذ تعودوا فى كل الحالات أن يلجئوا بسرعة الى تمثال معرفتهم وفطنتهم .

إن هذا شئٌ خطير ، ولا يسهل شفاؤه . ان كبرياء العقل أسوأ بكثير من كبرياء الارادة ، لأن العقل إذ ينظر كبرياء الارادة يمكن أحياناً أن يعالج بسهولة بالخضوع تحت نير ما هو صالح . أما إذا كان العقل مثبت تماماً فى فكر الاعتماد على نفسه ومقتنع بأن تدبيره أفضل من تدبير الآخرين ، فمن يستطيع أن يشفيه فى النهاية ؟ هل سيطيع أى شخص إن كان متاكداً من صلاح مشاعره وأن تدابير الآخرين ليست صالحة مثل تدابير هو ؟ حينما تعمى عين النفس - العقل - بالكبرياء تلك التى بها يرى الانسان كبرياء الارادة ويقومها ، فمن سيقوم الارادة ويشفيها ؟ إن كل ما بالداخل سيضطرب لأنه لا يوجد من يصنع كمادات الشفاء .

لذلك لا تتوانى فى استئصال داء كبرياء الذهن الوييل ، قبل
أن ينفذ الى نخاع عظامك . قاومه وبسرعة إجم عقلك ، واخضع
رأيك لأراء الآخرين باتضاع ، وكن جاهلاً من أجل الله كى تكون
حكيماً أكثر من سليمان ، ان كان أحد يظن أنه حكيم
بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلاً كى يصير
حكيماً ، ١ كو ٣ : ١٨ .

+ + +

تدريب الإرادة في إرضاء الله (كيف ندرب إرادتنا ليكون هدفها الوحيد هو إرضاء الله في كل الأشياء الخارجية والداخلية)

بجانب تدريبك لعقلك ليتهدب ، عليك أيضاً أن تتحكم في إرادتك كي لا تجنح منك نحو أهوائك الشخصية بل يجب أن تقودها كي تكون مطابقة تماماً لإرادة الله . أكثر من هذا ضع في ذهنك جيداً ، أنه لا يكفي مجرد أن ترغب وتطلب أن ترضى الله دائماً وفي كل شيء ، بل ينبغي أن تكون رغباتك كما لو كانت متحركة من الله ذاته ، لأجل هدف واحد - هو أن ترضيه بقلب نقي . ولكي ندرب أنفسنا على السير دائماً نحو هذا الهدف ، علينا أن نتحمل جهاداً أعظم ضد طبيعتنا أكثر من أي شيء . لأن طبيعتنا قد تعودت إرضاء نفسها ، لدرجة أنها تطلب راحتها ولذتها في كل أعمالها حتى ولو كانت أعمالاً روحانية وصالحة جداً ، وهي تتغذى عليها سرّاً لصالح شهواتنا كما لو كانت طعاماً تريد أن تقتات به .

ليكن الكل من أجل الله

وهكذا يحدث ، أنه عندما تعرض علينا فرصة عمل روحاني ، نميل أن ننجزه بسرعة وندفع نحوه بعنف ، ليس كأناس يتحركون بإرادة الله . وليس الغرض الوحيد هو ارضاؤه ، ولكن من أجل التعزية والفرح المتولدان فينا حينما نرغب ونطلب ما يريده الله منا . هذا الداء من أكثر الأوجاع خداعاً واختفاءً لأن الأمور التي يطلبها بطبيعته أموراً روحانية سامية . وهذا هو السبب كما قلت أن لا نرغب مشيئة الله فقط ، بل ينبغي أن نرغب فيها كيفما شاء هو ، ومتى شاء ، وبسبب وغرض مشيئته والرسول أيضاً يعلمنا أن نختبر مشيئة الله ليس من حيث صلاحها فقط ، بل أيضاً من جهة ما إذا كانت مرضية عنده ، وكاملة من جميع النواحي فيقول : « لا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم فتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » ، رو ١٢ : ٢ . هذا يأتي بنا الى نتيجة هي أنه حتماً ونحن راغبين في الله ذاته وطالبيين إياه ، فحتى هذه الرغبة وهذا الطلب يمكن أن ينطوي على أخطاء أو نقائص ، وربما يختلط به بعض شوائب حب الذات والمجد الباطل . لأننا معرضون أن نهتم بخيرنا الخاص أكثر من الاهتمام بمجد الله . ونعمل أشياء من أجل نواتنا وليس من أجل

الله . فإله لا يقبل من أعمال إلا ما كان لمجده وحده فقط ، وهو يريدنا أن نحبه هو وحده ، ونرغبه هو وحده ، ونعمل له وحده .

تدريب عند البداية في كل عمل

لذلك يا أختي ، إن أردت أن تؤمن نفسك ضد المكامن المختبئة في طريق الكمال ، إن كنت تريد أن توطد ذاتك جيداً على هذا المبدأ - أن ترغب وتعمل الأمور لأنها فقط بحسب مشيئة الله، مريداً إياها لمجده ومشتغلاً بها من أجله هو وحده لأنه يشاء أن يكون هو البداية والنهاية في كل أفعالنا وأفكارنا - فاعمل بالطريقة الآتية :

حينما يكون أمامك عملاً صالحاً في حد ذاته ، متفقاً مع إرادة الله ، فلا تمل إليه بإرادتك سريعاً ، ولا ترغب فيه ، قبل أن ترفع عقلك الى الله أولاً ، كي تستوضح هل هي رغبة مستقيمة من الله يريدك أن تقوم بتنفيذها ، وهل هي مقبولة لدى الله منك ... وحينما ترى أن أفكارك قد هدأت ، وأن ميلان إرادتك هو من مشيئة الله حينئذ أرغب في هذا العمل وتممه ، لأن الله يريدك منك ، وانك تعمله بسبب أنك تريد إرضاءه وتمجيده هو وحده .

بنفس الطريقة ، حينما تريد أن تترك شيئاً غير صالح ولا يتفق وإرادة الله ، لا تتباعد عنه بسرعة ، بل ثبت عيني عقلك أولاً

على ارادة الله كى تتأكد أن ارادة الله المستقيمة هي أن تتباعد
عنه من أجل مرضاته .

كيف نختبر أن ارادتنا متفقة مع ارادة الله

إن خداع الذات فى طبيعتنا دقيق جداً ، وقليلون هم الذين
يعميزونه لأنه يبلغ مأربه سرأً بينما يبدو مظهره الخارجى متفقاً
مع مبدأ ارضاء الله مع أن واقعه ليس كذلك . وهذا ما يحدث
كثيراً ، إننا نريد أو نرفض أمراً ما لمصلحتنا الخاصة ولتمجيد
نواتنا فى الواقع ، ولكن نظن أننا نطلبه مرضاة لله ، والوسيلة
الوحيدة لاكتشاف هذا الخداع الخفى ، وابعاده . هي نقاوة القلب
الذى يكون برفضنا آدم العتيق ونلبس نواتنا الانسان الجديد .
هذا هو هدف وغرض كل المحاربات الروحية .

إن أردت أن تتعلم كيف تعمل هذا ، فاصغ : حينما تبدأ فى
عمل شئ ما ، اجمع ذاتك بكل ما تستطيع عن جميع رغباتك
الخاصة ، ولا تريد أن تفعل هذا الشئ أو تتباعد عنه ، حتى تدرك
ان المحرك الذى يجذبك نحوه هو الإحساس بإرادة الله . إن كنت
لا تقدر أن تدرك بحيوية تحريك الله لك فى كل أعمالك ، سواء
كانت خارجية أم داخلية تخص نفسك فاكتفى بالتدريب على جعل
هذا الادراك ممكناً ، بمعنى ، أن تدبر نفسك باخلاص ولا
تحفظ فى ذهنك شيئاً ما خلا رضاء الله .

ربما نتلمس شعور تحريك الله لنا عن طريق
 ومضات إلهية أو استنارات عقلية يعلنها الله لقلوب نقية فى
 تأمل، أو عن طريق إلهام إلهى فى الداخل ، ببعض الكلمات
 الداخلية ، أو عن طريق بعض الأعمال الأخرى للنعمة الإلهية ،
 محدثة التهاباً محيياً فى قلب نقى ، أو فرحاً لا ينطق به ، أو نشوة
 روحية ، أو حركة حنو ورقية ، أو عبرات من صميم الفؤاد ، أو
 حب لله ، أو مشاعر أخرى محببة لله ، تكون ناتجة ليس عن
 ارادتنا بل من الله ، ليس بعملنا بل ونحن فى سكون وتقصير .
 مثل هذه المشاعر يمكن أن تكون تأكيداً لاتفاق ما تفعله مع ارادة
 الله . ولكن قبل كل شئ علينا أن نرفع الي الله صلاة حارة نقية
 متوسلين اليه بكل مثابرة مرة ، ومرتين ، ومرات كثيرة كى ينير
 ظلمتنا ويعلمنا . « صلى ثلاث مرات » هكذا يقول الآباء العظام
 برصنوفيرس ويوحنا « حينئذ افعل ما يميل اليه قلبك » . زيادة
 على ذلك ، لا تنس أن كل القرارات المتكونة فيك نتيجة للحركات
 الروحية الداخلية التى ذكرناها ، ينبغى أن تتمشى مع نصائح
 وارشادات المختبرين .

لاحظ نفسك ... لنأى تمويل ارادتك

بالنسبة للمشروعات التى تستغرق وقتاً طويلاً ، أو التى
 تستمر مدى الحياة ، علينا أن نضع فى قلوبنا بثبات أننا نمارسها

ارضاء لله فقط ، وهذا ليس فى البداية فقط ، بل علينا أن نراجع أنفسنا بين الحين والحين ، ونجدد هذا التثبيت فى القلب مرات عديدة حتى النهاية.لأنك إن تغافلت عن هذا ربما تكون فى خطورة للوقوع فى حب الذات الكائن طبيعياً فينا ، ذاك الذى يميل الى ارضاء نفسه أكثر من ارضاء الله ، ومع مرور الزمن غالباً ما ينجح فى تحويلنا بعيداً عن الصلاح ، وفى تغيير نوايانا وأهدافنا الخيرة بون أن نشعر . ولذا كتب القديس اغريغوريوس السينائى « احذر من نوايا ارادتك وانتبه الى أى طريق هى مائلة ، هل نحو الله أم نحو نفعك الذاتى ، وفائدتك شخصياً ، وكونك جالساً فى السكون مزمرأ وتالياً صلوات أو متمماً أعمالاً صالحة أخرى لئلا تكون سارقاً بون أن تدرى » .

لذلك فإن لم يراقب الانسان نفسه جيداً ، ربما يبدأ نشاطاً معيناً بفرض ارضاء الله وحده ، ولكنه بعد ذلك بقليل ، يتداخل معه دافعاً ذاتياً فيجد فى نشاطه اشباعاً لرغباته الخاصة ، وهكذا حتى تصبح ارادة الله منسية فى الانسان نهائياً ، ولكنه يظل مربوطاً بلذة العمل ، حتى إن منعه الله ذاته عن هذا العمل، بواسطة بعض الأمراض ، أو عن طريق تجارب من بشر أو شياطين ، أو ببعض الوسائل الأخرى ، يمتلئ حنقاً ، ويلوم شخصاً أو آخر لتدخله فى تدبير الأمور التى يحبها ، وأحياناً

يتذمر حتى على الله ذاته . هذه علامة أكيدة أن نية قلبه لم تكن من الله بل خرجت من جذر حب الذات الفاسد النتن .

ليكن أمانك هدف ارضاء الله دائماً

إن الشخص الذى يتحرك بحسب ارادة الله النقية ، ولا ييغى إلا رضاه ، لا يفضل عملاً آخر حتى ولو كان أحدهما عظيماً وسامياً والآخر متواضعاً وبسيطاً ، بل تكون له نية واحدة متساوية نحو كليهما ماداما يرضيان الله ، حتى أنه سواء عمل شيئاً غالباً عظيماً أم متواضعاً بسيطاً يظل محتفظاً بهدونه لأن نيته الوحيدة وهدفه الأقصى هو ارضاء الله دائماً وفى كل ما يعمله سواء فى حياة أم فى موت ، رافضاً كل ما عدا هذا كما يقول الرسول « لذلك نحتصر أيضاً مستوطنين كنا أو متفريين أن نكون مرضيين عنده » ٢ كو ٥ : ٩ .

لذلك راقب نفسك دائماً يا حبيبى ، وانحصر فى الداخل مشتاقاً بكل الوسائل التى فى قدرتك أن توجه كل نشاطك نحو هذا الهدف الوحيد .

إن حركتك بواقعك الداخلية لتصنع أمراً كى تهرب من عذاب الجحيم أو كى ترث السماء . فوجه نشاطك عقلياً نحو الهدف الأسمى - أن ترضى الله بطاعتك ارادته ، لأن ارادة الله هى أن تذهب الى السماء ، ولا تلقى فى الجحيم .

إن ادراك كمال عظم قوة هذا المبدأ وقدرته مخفى عن كثيرين لأن أعمالاً بسيطة وغير هامة فى حد ذاتها تصير فى نظر الله عظيمة القيمة بصورة لانهاية لأنها عملت ارضاء لله ومجداً لاسمه ، بعكس أعمال أخرى كثيرة ومجيدة ولكنها أنجزت ليس من أجل الغرض المستقيم أى ارضاء الله .

ان الله يسر حين يراك تعطى لسائل مليماً كى ترضيه هو وحده تبارك اسمه أكثر من تركك لكل ممتلكاتك من أجل أغراض أخرى غريبة . حتى ولو كانت كى تتال بركات سمائية ، رغم أنها رغبة صالحة ومحمودة .

هذا التدريب الداخلى - الواجب أن تمارسه فى كل شئ تعمله - تدريب توجيه أفكارك ومشاعرك وأعمالك نحو ارضاء الله فقط ، سيكون صعباً فى البداية ولكنه فى النهاية سيصبح سهلاً وخفيفاً إن راعيت :

أولاً : تدريب نفسك باستمرار فى هذه المحاولة الروحية .
ثانياً : حفظ اشتياقاتك ملتبهة دائماً نحو الله ، متتهداً بحنين قوى من القلب للخير المطلق المستحق أن تفكر فيه ونخدمه ونحبه فوق كل الأشياء . فبمقدار كثرة لهفتنا على الله الغير محدود فى مشاعرنا وعمق نقائنا ، بمقدار كثرة أعمالنا وحرارتنا فى انجازها بسهولة ويسر ، بسبب العادة المتأصلة فينا بأن نعمل كل شئ حباً فى الله وحده ، مدفوعين برغبة ارضائه إذ هو الأولى من كل شئ بأن نحبه وأن نرضى صلاحه .

تذكار أعمال الله معنا يدفع إرادتنا نحو رضائه

لكى تحرك إرادتك بأكثر سهولة ويكون لها هذه الرغبة الوحيدة فى كل شئ - أى أن ترضى الله وتعمل لمجده وحده - نكر نفسك دائماً أنه قد وهبك انعامات كثيرة فى الماضى . وقد أظهر لك حبه . لقد خلقك من العدم على صورته ومثاله . وجعل كل المخلوقات الأخرى فى خدمتك . لقد أنقذك من عبودية الشيطان ولم يرسل ملاكاً ولا رئيس ملائكة ليفيدك بل أرسل ابنه الوحيد لكى لا يفيدك بأشياء تقنى ، بفضة أو ذهب بل بدمه الذى لا يقدر ثمنه ويموته المهين المشحون ألماً وإن فعل كل هذا فهو لا يلبث يحميك كل ساعة وكل لحظة من أعدائك ، ويحارب معك فى معاركك بنعمته الإلهية ، وفى أسرارهِ المحيية يعد لك جسد ودم ابنه الحبيب طعاماً لك كى يقيتك ويعتز بك .

هذا كله علامة على أنعام الله وحبه الكبير لك ، انعامات عظيمة لدرجة أنها غير مدركة ، كيف أن رب الصباؤوت العظيم يهب مثل هذه الإنعامات لعدمننا وعدم استحقاقنا ، فأى شرف وتكريس ينبغى أن نقدمهما لجلاله غير المحدود ، الذى صنع مثل هذه الأمور من أجلنا ، إذ كنا لا نستطيع تقديم الشكر والحمد

والمجد والطاعة للملوك أرضيين كما يليق على أنعامهم ، فكم بالأكثر
الى ما لا يقاس ينبغى علينا نحن غير المستحقين أن نقدم الى
جلال رب الصباؤوت العظيم ، الذى أحبنا ووهبنا انعامات لا
تُحصى .

بل أكثر من كل ما قيل ليكن فى ذهنك أن عظمة الله جديرة
بكل عبادة وحمد فى حد ذاتها ، وخدمتها من كل القلب مقبولة
لديه .

+ + +

في الأهواء والميول العديدة الكائنة في الإنسان ، وتصارعها مع بعضها البعض

إعلم انه في هذه المحاربات الروحية توجد إرادتان متصارعتان
فينا ، إحداهما ضد الأخرى : واحدة تنتسب الى الجانب العقلي
من النفس وتعرف بالارادة العاقلة وهي الأسمى ، والأخرى
تنتسب الى الجانب الحسى ، ولذا تُعرف بالارادة الحسية وهي
الأدنى ، ويطلق على الأخيرة دائماً الارادة البهيمية الجسدية أو
ارادة الأوجاع .

والإرادة السامية دائماً لا تطلب أى شئ سوى الخير ،
والأدنى لا تطلب سوى الشر . كل يحدث بالتساوى من تلقاء
ذاته ، حتى أن الخير لا يطلب في ذاته لأنه خير ، والشر لأنه شر .
ولكن التقدير متوقف على ميلان ارادتنا الحرة الخاصة . ولذا
فحين تميل ارادتنا نحو رغبة صالحة تكون محسوبة لنا ، ولكن
حينما تميل نحو رغبة شريرة تُحسب علينا . هاتان الرغبتان تتبع
إحدهما الأخرى : فحينما تواتينا رغبة في عمل الخير تعاكسها
على الفور رغبة شريرة مضادة ، وحينما تأتي رغبة شريرة
تقاومها بسرعة رغبة خيرة و ارادتنا حرة لتميل نحو أيهما .

والرغبة التي تميل اليها ارادتنا تعتبر غالبية في هذه الحالة ...
 وكل محارباتنا الروحية تنور حول هذا . فهدفنا أن لا نميل
 بإرادتنا نحو الرغبة السفلى التي هي ارادة الأوجاع الجسيمة ،
 بل نتبع الإرادة العاقلة السامية لأنها ارادة الله ، نتبع قانون
 وجودنا الأساسى : اتق الله واحفظ وصاياہ لأن هذا هو
 الانسان كله ، جا ١٢ : ٢ . هكذا يقول الجامعة ، وكل من
 هاتين الرغبتين تجذب إرادتنا نحوها رغبة فى إخضاعها . فاطفىء
 الرغبة الجسدية السفلى وسر وفق ما تمليه عليك الأسمى لكى
 يتحقق لك النصر - ولكن إن أنت أهملت الأسمى وأخذت السفلى
 فستجد نفسك مغلوباً ، ويعبر القديس بولس عن هذا قائلاً : « إذا
 أجد الدناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى أن
 الشر حاضر عندى . فانى أسر بناموس الله بحسب
 الانسان الباطل ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى
 يحارب ناموس ذهنى ويسببى الى ناموس الخطية
 الكائن فى أعضائى ، رو ٧ : ٢١-٢٣ . وأعطي قانوناً شاملاً
 « اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » ، غل ٥ :
 ١٦ . وهذا لا يتم إلا بالجهاد ضد الجسد .

جهد شاق ومجهود مضمّن ينبغى أن يبدأ به أولئك الذين
 قرروا أن يغيروا حياتهم الجسدية العالمية الي حياة البر وأن
 يهيئوا نواتهم للتدريب على حب الله وخدمته بإخلاص ، لأنهم

قيدوا أنفسهم من قبل فى عادات شريرة بإرضاء رغباتهم
الجسدية وإرادة الأوجاع .

ورغم من إرادتهم العاقلة ، التى قرروا ورغبوا أن يتبعوها
تقف على جانب من إرادتهم الحرة ينشطها الله ، ولكن على
الجانب الآخر تقف هناك الرغبات الجسدية وإرادة الأوجاع حيث لا
يزالون يشعرون بحنين اليها ، فتقاومها الأولى وتحاول أن تجذبها
لجانبها بنفس القوة ، كدواب الحمل التى يشدها اللجام . نعمة
الله وحدها هى التى تعطى لهم قوة الثبات فى القرار الذى
اتخذوه ... ومع المقاومة الطويلة للجذب ، وعدم اعطاء فرصة
نصر للأوجاع الدنيئة وهكذا تمتص عصارة الرغبات الجسدية فى
الانسان ومع كل هذا لا ينتهى الجهاد .

فلا يمكن لأحد بأن يصل الى وضع مسيحي حقيقى أو
فضيلة مسيحية ، أو عمل من أجل الله أو كما يشاء الله ، دون
أن يجبر نفسه على أن يهجر ويغلب سائر ضغوطات الأوجاع
الجسدية كبيرة كانت أم صغيرة تلك التى كان قد اعتاد أولاً أن
يشبعها برغبة وارتياح .

التهمية الحقيقية للقلب

إن السبب فى أن أناساً لا يصلون إلى ملء الكمال المسيحى
هو عدم اهتمامهم -اشفاقاً على نواتهم - أن يجبروا أنفسهم

على انكار الذات بصورة مطلقة وفي كل شئ فإنهم بعد أن يتغلبوا على ميول الأوجاع الكبرى ، لا يعبأون بالصغرى التي تبدو قليلة الأهمية . ومن حيث أن هذه الميول الصغيرة (١) هي رد فعل وليد هذه الكبيرة فبالتفاضى عنها لا بد أن تنمو وتكبر وهكذا تستمر موجودة تعمل فى القلب بالرغم من أنها فى الواقع لا تظهر نفسها على نطاق واسع . وهكذا يظل القلب غير نقى من أوجاعه ، وفوق كل شئ لم يتحرر مثقال ذرة من التساهل مع النفس والاشفاق على الذات وربما يعطل هذا الأمر كل تقدم فينا بقصد إرضاء الله .

أمثلة

يوجد مثلاً أشخاص يمتنعون عن الاستيلاء على ممتلكات الآخرين بينما هم مرتبطين بشدة بما لهم . ويوجد قوم يملكون أن يقدموا عطاياهم للآخرين لوفرة ما عندهم ولكنهم يترددون فى عمل الخير ، آخرون لا يبحثون عن الكرامة بوسائل شريرة ، ورغم ذلك لا يحسبون أنفسهم لا شئ ، فيحزنون إن لم يرحب بهم ويطلبون الكرامة من كل أحد رغم أنهم يظهرون أنهم لا

(١) خذوا لنا الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم . لأن الميول الصغيرة عندنا تجد فرصة تصير أكبر ضرراً .

يسعون فى طلب هذه الكرامة ، آخرون يمارسون أصواماً طويلة بحسب المفروض ولكن حينما تحين ساعة الاقطار يشبعون شهوة الطعام الى الملى ويأكلون جيداً ، الأمر الذى يجرى الصوم من كل قيمة ، آخرون يسيرون حياة طاهرة ، ولكن رغم هذا يستمرون فى اتصالاتهم ودالتهم مع الناس الذين يعشقونهم ، غير راغبين أن يفهموا أن الاستمتاع بمثل هذا يقيم سداً شامخاً أمام الكمال فى الحياة الروحية والاتحاد مع الله .

العيوب التى فى الطبيعة يوكن تهذيبها أيضاً

سأضيف الى هذا الحقيقة التالية : إن الناس عادة لا يهتمون بالعيوب الطبيعية التى فى أخلاقهم التى رغم عدم اعتمادها على الإرادة الشخصية ، إلا أنها تدير الانسان إن كان يرى مقدار تداخلها مع الحياة الروحية ولا يتحرك كى يبيدها بالكمال ولا يحاول أن يحفظها داخل حدودها غير الضارة ، رغم أن هذا يمكن الوصول اليه بمعونة الله . وبحسب حرص الشخص وغيرته . هذه النقائص هى مثلاً : الترفع والتباعد ، حدة الطبع ، الحساسية المفرطة وما يتبعها من كلمات وحركات وأفعال سريعة بلا تفكير ، الخشونة والجفاء ، التشكك ورتاء الحال ، التشبث بالرأى ، حب الجدل ... إلخ . كل هذه نقائص طبيعية وأخطاء يجب تهذيبها فى البعض بالتقليل وفى البعض بإضافة

الناقص كى يتحوّل كليهما الى الصلاح . لأنه لا توجد سمة طبيعية ، ولا أمر فطرى عتيد يقدر أن يقف أمام الارادة إن سلحت بنعمة الله مع المقاومة بكل حرص وفطنة .

وهكذا يحدث أن البعض يتممون أعمالاً صالحة ، ولكن هذه الأعمال تبقى ناقصة عرجاء مخلوطة بالشهوات التى من العالم (١ يو ٢ : ١٦) فلا يحرزون تقدماً فى طريق الخلاص ، بل ويدورون حول نقطة واحدة ، بل غالباً يلتفتون نحو الخلف ساقطين فى خطاياهم الأولى مرة أخرى . هذا يدل على أن حبهم للحياة الحقيقية فى المسيح لم يكن من البداية من كل القلب . وأنهم لم يكونوا ممثلين بدرجة كافية من شعور الامتتان نحو الله الذى أنقذهم من قوة الشيطان ، ولم يكونوا كاملين فى قرارهم للعمل من أجل الله فقط ولارضائه وحده . ونتيجة لهذا يبقى مثل هؤلاء الناس غير مدربين فى الخير ، عمياناً لا يبصرون الخطر المحدق بهم ، بل ظانين أنهم راسخون فى الخير ولا يوجد أى شر يتهددهم .

من أجل هذا يا أذى المحبوب فى المسيح ، أتوسل اليك أن تحب الطريق الكرية والأحمال الثقيلة التى لا بد أن ترافق محارباتنا الروحية إن كنت تريد أن يكون النصر حليفك اسمع ما يقوله

الحكيم ابن سيراخ : لا تكره الأعمال التعبية ، سى ٧ : ١٥ .
لأن هذا هو أساس المحاربات الداخلية كلها . وبمقدار ما تكون
نصرتك سريعة وكاملة فتنصر على ذاتك ، وعلى ما هو كائن فى
ذاتك يقاوم الخير الأسمى . وبهذا ستمتلى من كل فضيلة وكل
صلاح ، وسيحل عليك سلام الله .

+ + +

في كيف تمارب ضد ارادة الحسيات البهيمية ، والتداريب المطلوبة لاكتساب الفضائل واختبارها

في كل وقت ، تقع إرادتنا الحرة تحت تأثير وجذب من ارادة الحسيات البهيمية من جهة وإرادة الله المتكلمة في الضمير من جهة أخرى ، كل منهما تبغى أخذها إلى صفها . فيجب عليك إن كنت تشتاق الى الخير بإخلاص ، أن تبذل كل جهد مناسب من جانبك كي تساعد إرادة الله على الانتصار فيك ، ولأجل أن تصل الى هذا :

✚ بمجرد أن تشعر بضغطات إرادة الأوجاع الحسية الذنيئة ، عليك أن تستعمل كل الطرق لتقاومها ، ولا تسمح لإرادتك الخاصة أن تميل الى الحسيات قيد أنملة ، بل اسحقهم واقطعهم وأبعدهم عنك بشدة مستعملاً إرادتك العنيفة .

✚ كي تتوصل الى هذا بنجاح ، وبأفضل طريقة ، أسرع بأن تضرم فيك اشمئزازاً من كل القلب لهذه الضغوطات كما نحو أعدائك الذين يريدون أن يسرقوا ويهلكوا نفسك واغضب عليهم .

✚ في نفس الوقت لا تنسى أن تستغيث برينا يسوع المسيح معيننا في جهادنا سائلاً مساعدته وحمايته ، كي يقوى إرادتك

الفاضلة ، لأنه بدونها لا تستطيع أن تحرز أى تقدم فى حياتك .

✠ إن أجريت هذه الأفعال الثلاثة فى نفسك داخلياً بإخلاص ، فهى لا تفشل فى اعطائك النصر على ضغوطاتك الشريرة ، ولكن هذا يعنى طرد الأعداء بعيداً عنك فقط ، ولكنك إن أردت أن تسحقهم فى عقر دارهم ، فيمكنك حينئذ أن تبادر بالقيام بإجراء يعارض ما تقدمه ضغوطات الأوجاع ، وإن أمكن تضع فى قلبك أن تفعله دائماً . هذا التدريب الأخير سيحرك أخيراً بالتعام من تجديد الهجمات التى تختبرها .

سأصور لك هذا بمثال : افرض أن أحدهم أساء اليك بشئ كبير أم صغير أثار فى نفسك حركة ضيق واضطراب مصحوبة بفكر الرد بالمثل . فانتبه الى ذلك وتأكد أن هذه الحركات تريد استعمالك لشر ، فاتخذ حينئذ عتاد الدفاع كمحارب :

أ- أوقف هذه الحركات ولا تتركها تنفذ الى أعماق مما وصلت اليه ، ودع ارادتك تقوم بدورها فى المقاومة .

ب- لكى تتوصل الى هذا بنجاح - رغماً عن قوة الذى لم يزل قريباً منك مستعداً ليجدد الهجوم عليك ، لذلك أعلن غضبتك عليه لتحمى ذاتك حتى تقدر أن تقول بإخلاص : أبغضت الكذب وكرهته أما شريعتك فأحببتها ، مز ١١٩ : ١٦٣ .

أو ، بغضاً تاماً أبغضتهم ، صاروا الى أعداء، مز ١٢٩ :
٢٢ هذه ستكون ضربة عظيمة لأوجاعك وستخف عنك ولكنها لن
تتمحى .

ج - حينئذ اطلب الله ، اللهم التفت الى معونتي يا
رب أسرع وأعني ، مز ٧٠ : ١ . ولا تكف عن الدعاء حتى لا
يبقى أى أثر للحركات الشريرة ، وتستعيد النفس سلامها .

د- وبعد استعادة نفسك لسلامها هكذا ، اصنع رحمة لمن
أساء اليك ، واظهر محبتك له بكلمة صداقة مثلاً أو معروف
يناسب الوقت . فهذا يعنى اتباعك وصية الرب لداود ، حد من
النشر واصنع الخير ، مز ٣٤ : ١٤ . هذه الأعمال تقودك
مباشرة الى اكتساب الفضيلة التى تعارض حركات الأوجاع التى
ضايقتك ، والتعود على هذه الفضيلة يضرب الوجع الضربة
القاضية ويقتله . حاول أن تتوقع بالافراز الداخلى تلك الأعمال
التى تجعل مثل هذه الضغوطات يستحيل مجيئها فى المستقبل
والى الأبد . مثلاً فى المثال السابق اعتبر نفسك مستحقاً كل
اهانة ومذمة ، وأعد نفسك لترحب بكل أنواع الاهانة والتعيير ،
رحب بهم وكن على استعداد أن تتقبلها وتنتظرها بكل فرح
كأى نافعة وفعالة . فى حالات أخرى حاول أن تشير فى نفسك
مشاعر واستعدادات مناظره . هذا يعنى طرد الوجع خارج قلبك

وبدلاً عنه تفرس الفضيلة المضادة له ، هذا هو هدف المحاربات
الروحية .

غرس الفضائل في النفس

سأعطيك توضيحاً يناسب كل الحالات بحسب ارشاد الآباء

القدسين :

لنفوسنا ثلاثة أجزاء أوقوى - التفكير - الرغبة -
الاستثارة . ومن أجل فسادها تولد فينا هذه القوى الثلاث ثلاثة
أنواع مناظرة من الأفكار والحركات الرديئة . قوة التفكير تولد
عدم العرفان بالجميل نحو الله ، والتذمر ونسيان الله ، والجهل
بالأمور الإلهية ، ورداءة الأحكام التي تصدرها ، وكل أنواع
أفكار التجاديف . وقوة الرغبة تولد أفكار حب اللذة . وأفكار
المجد الباطل ، وحب الفضة بكل تشعباتها العديدة ، وكل ما
يدخل في دائرة التهاون اشفاقاً على الذات ، وقوة الاستثارة تولد
أفكار الغضب والكراهية ، والحسد ، والانتقام ، والقساوة ،
وضعف الإرادة ، وبالإجمال كل الأفكار الشريرة .

عليك أن تغلب كل هذه الأفكار والضغطات بالطرق الموضحة
سابقاً عاملاً في كل حالة على أن تنبض في قلبك مشاعر صالحة
وتقيم استعدادات مضادة لها ، فبدلاً من عدم الإيمان ليكن فيك

إيمان بلا شك في الله ، وبدلاً من الشكوى والتذمر ليكن فيك عرفان بالجميل بإخلاص نحو الله في كل شيء ، وبدلاً من نسيان الله ليكن فيك تذكّر دائم عميق لله الكائن على الدوام والذي له القوة كلها ، وبدلاً من الجهل ليكن فيك تأمل واضح ، وفحص ذهني لكل حقائق خلاص النفس ، وبدلاً من عدم التمييز ليكن لك قدرات مدربة لتفصل بين الخير والشر وبدلاً من أفكار التجاديف لتكن مسيحياً وممجداً لله وينفس الطريقة بدلاً من حب اللذة لتمرن نفسك على الزهد والصوم وإماتة الذات ، وبدلاً من المجد الباطل لتدرب نفسك على عمل كل شيء في الخفاء وبدلاً من حب الفضة لتنمو فيك فضيلة القناعة بالقليل وحب العطاء ، وأيضاً بدلاً من الغضب لتكن فيك الوداعة ، وبدلاً من الكراهية الحب ، وبدلاً من الحسد فرح مع الآخرين ، وبدلاً من الانتقام التسامح والمسائلة ، وبدلاً من المساواة الرأفة ، وبدلاً من الخشونة اللطف

وبالاختصار سأركز لك كل هذا في الفقرة التالية مع

القديس مكسيموس :

زَيْنُ قُوَّةِ تَفْكِيرِكَ بِيَقْظَةٍ دَائِمَةٍ لَكَ ، وَبِالصَّلَاةِ
وَمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ الْإِلَهِيَّةِ وَقُوَّةِ الرَّغْبَةِ بِأَفْكَارِ الذَّاتِ
بِالْكَلِيَّةِ وَتَرْكِ كُلِّ تَهَاوُنٍ إِشْفَاقاً عَلَى نَفْسِكَ وَقُوَّةِ
الاستثارة بالحب .

فإنك إن فعلت هذا أوكد لك أن نور عقلك لن يخبو ، ولا تجد الأفكار الرديئة مكاناً لها فيك على الإطلاق . إن كنت نشيطاً في إقامة مثل هذه الأفكار الصالحة والاستعدادات الطيبة في نفسك صباحاً ومساءً وفي ساعات اليوم الأخرى فسوف لا تقترب منك محاربات غير منظورة على الإطلاق لأنك حينذاك تكون كلواء الجيش الذي يعد فصائله دائماً ، ويرتبها في وضع التحفز للمعركة ، والاعداء تعرف أن الهجوم على مثل هذا اللواء غير عملي .

اهتم بالأكثر بالنقطة الأخيرة أي الأفعال المضادة لما تعلمه أفكار الأوجاع وإقامة المشاعر والاستعدادات المعاكسة لها . فبهذه الطريقة وحدها تقتلع الأوجاع من نفسك وتكون في وضع أكثر سلاماً ، لأنه مادامت جنود الأوجاع باقية فيك فدائماً ستتسلل نامية وربما تعطل نمو الفضيلة فيك ، وأحياناً تخفيها نهائياً وتقصيها بعيداً ، في مثل هذه الحالات نكون في خطر السقوط في خطايانا السابقة مرة أخرى ، وتحطيم ثمار عملنا كله .

من أجل ذلك اعلم أن هذا التريب الأخير لا يمارس مجرد مرة واحدة ، بل دائماً ومرات عديدة باستمرار ، حتى تحطم العادات الناتجة من الأوجاع وتسحقها وتهلكها تلك التي تحارب ضدها . لأن هذه العادات قد اكتسبت قوة على قلبك بسبب اعتياد

تكرار بعض الأفعال التي تشيع الوجد الكائن في القلب فلا يكفي مقاومة الوجد في القلب كي تضعف أو تهلك هذه القوة بل عليك أن تقوم بأفعال مضادة للأولى ، أفعالاً تعارض الوجد وتحطمه وتهلكه ، ويتكرر قيامك بهذه الأفعال المضادة للوجد تستأصل العادة الرديئة وتمتثل الوجد الذي يحركها ، وتفرس في القلب الفضيلة المضادة لهذا الوجد .

أكثر من هذا - كي تكتسب عادات صالحة من الضروري أن تكمل عدداً كبيراً من الأفعال الحسنة ، أكثر من عدد الأفعال الشريرة المطلوبة لتثبيت عادة رديئة . لأن الأعمال الرديئة تتأصل بسهولة إذ تساعدها وتوازرها الخطية الساكنة فينا أى بالاشفاق على الذات ، ولهذا مهما كانت الصعوبة والشدة التي تظهر لك كي تكمل مثل هذه الأفعال المعارضة لأوجاعك ، لأن ارادتك نحو الخير لم تنزل ضعيفة ، وبسبب مقاومة ارادة الاشفاق على الذات لا تترك أبداً هذه الأمور بل اجبر ذاتك بكل الطرق أن تمارسها دائماً ، مهما كانت غير كاملة في البداية فإنهم سيدعمون ثباتك وشجاعتك في المعركة وتمهد لك الطريق للنصرة .

لا تستهن بالأشياء البسيطة

سأضيف شيئاً آخر : اعمل دائماً ، اجمع انتباهك الى داخل ذاتك ، حارب بشجاعة ليس ضد المشيرات القوية العظيمة لأوجاعك

فقط ، بل تلك الصغيرة الضعيفة أيضاً . لأن الصغيرة تمهد
للكبيرة لا سيما حينما تصبح عادة . لقد أثبتت الخبرة لمرات
عديدة أنه حينما يتوانى انسان عن طرد أهواء الأوجاع الصغيرة
من القلب ، بعدما يكون قد غلب الكبيرة فإنه يعرض لهجمات
مفاجئة متوقعة من العدو ، تكون عنيفة جداً لدرجة لا يستطيع
معها أن يثبت فى أرض المعركة ، ويكون سقوطه أشنع مما سبق ،
هذه حقيقة عملية ، فوق هذا اذكر بالحقيقة أنه عليك أن تقطع
وتقتل كل ارتباطات وجعية بالأشياء الغير ضرورية بمجرد أن
تلاحظ أنها تضعف قوة ارادتك نحو الخير ، أو تشتت انتباهك من
ذاتك ، رغم كونها مسموح بها ، كالتجول للنزهة ، حفلات المساء ،
محادثات معينة ، أكل ، نوم وأمثال هذه الأشياء فستحصل على
فائدة كبيرة من هذا ، لأنك تتدرب أن تكون سيداً على ذاتك فى
كل الأمور المشابهة ، ستصير قوياً وخبيراً فى الجهاد ضد
التجارب وستجنب فحاشاً ضخمة وعديدة يعرف الشيطان جيداً
كيف ينشرها فى هذه الطرق السليمة ، اننى أؤكد لك أن أعمالك
ستنال ربحاً من لدن نعمة الله .

لذلك يا حبيبى ، إن كنت تتبع نصيحتى ، وتأخذ على
عاتقك هذه الواجبات المقدسة بانتباه ، تأكد أنك فى وقت قصير
ستصل الى النجاح وتصير روحانياً بالحق فى أفعالك الطبيعية

بدلاً من المخادعة ويكون لك اسم لأنك روحانى دون الواقع . فاعلم
أن غضبك لنفسك وقهرك لذاتك هنا هما قانون لا يتغير . وهذا
يتطلب عدم ارضاء النفس حتى فى نظام الحياة الروحية . ان
ارضاء الذات إن دخل فى نطاق الأمور الروحية سيهلك كل
الأعمال . لأن كل الأمور الروحانية الحقيقية تأتى من نعمة الروح
القدس . وهذه النعمة لا تحل إلا على أولئك الذين قد صلبوا
أنفسهم فى الآلام والحرمان الاختيارى ، غير مشفقين على
نواتهم إذ قد صاروا متحدين مع ربنا ومخلصنا ، المصلوب من
أجلهم .



(ماذا تفعل إن أظهر لك العدو ان الإرادة العاقلة خاضعة تماماً لإرادة الأوجاع)

حرية الإرادة

إذا أحسست يوماً بمثل هذه الموجات العالية من الخطية ، حتى أن مقاومتها تبدو مستحيلة ، وقد أصيبت الحماسة التي تقاوم بها هذه العواصف بالخوار ، احذر أيها الأخ ، لا تنسحب من الجهاد ، بل انهض ذاتك وقف ثابتاً . انها حيلة العدو ، أن يجعلك تفكر أن المقاومة بلا فائدة ، مشتاقاً أن يزعزع ثباتك ويجعلك تلقى بكل أسلحتك ليجبرك على الاستسلام له . دع عقلك يستوضح هذه الحيلة ويكشفها جيداً فلا يخر . لأنه طالما أن ارادتك لم تمل نحو هذا الدافع الوجعي ، فأنت لم تنزل بين المنتصرين والمحاربين المقاتلين للعدو ، حتى ولو كان الوجع طاغياً عليك . لا يوجد أى شئ ولا أى شخص يستطيع أن يسلب النصر من يديك ، ويجبرك أن تسلك عكس ارادتك ، مهما كان هذا الشئ عنيداً أو ذاك الشخص قاسياً ومهما كانت ضراوة الحرب التي شنها أعداؤك . لقد أيد الله ارادتنا الحرة بالقوة الكافية حتى أنه

لو قامت ضدها سائر القوات والعالم كله ، وهجم علينا أجناد الشر لا يقدرّون أن يجبروها على شئٍ معيّن . انها دائماً متروكة حرة لترغب فيما يقدمونه اليها ويطلبونه منها إن أحببت هذا ، أو لا ترغب إن لم تحب .

تقوية الإرادة

ومن أجل هذا السبب ذاته تحمل ارادة الانسان مسئولية كل شئٍ وعلى هذا الأساس ستقدم الى الدينونة . تذكر جيداً : أنه لا عذر لك - مهما شعرت انك ضعيف ومجهد - في الميلان نحو شهوات الأوجاع . ان ضميرك سيقول لك نفس الشئ . لذلك فبقدر قوة الهجمات ينبغي أن تعد ذاتك لمقاومة أشد ولا تترك هذا العزم والتصميم مردداً في مثل هذه الحالات كلمات قائد من قوات حروينا : « اسهروا، اثبتوا .. كونوا رجال تقووا » ١ كو ١٦ : ١٣ . وهكذا إن تحافظ على ثبات ارادتك ضد أمواج الخطيئة ، وتميل الى جانب مطالب الارادة العليا ، استعمل أسلحتك الروحية عملياً ، واحداً بعد الآخر . والأكثر أهمية هو الصلاة فاجعلها متنفسك : « الرب نورى وخلصى ممن أخاف ، الرب حصن حياتى ممن أرتعب ، ان نزل على جيش لا يخاف قلبى ، إن قامت على حروب ففى ذلك أنا مطمئن ، مز ٢٧ : ١ ، ٣ . » لأنى على قوسى لا أتكلم وسيفى لا يخلصنى ... بالله نفتخر اليوم كله واسمك

نحمد الي الدهر ، مز ٤٤ : ٦ ، ٨ لا تخافوا خوفاً ولا
 ترهبوا . قدسوا رب الجنود فهو خوفكم ورهبتم .
 ويكون مقدساً ... احترموا وانكسروا ... تشاوروا
 مشورة فتبطل . تكلموا كلمة فلا تقوم لأن الله معنا ،
 اش ٨ : ١٢ - ١٤ ، ٩ ، ١٠ .

استعدادات الحرب الروحية

وإذ قد انتعشت نفسك أفعّل ما يفعله المحارب في المحاربات
 الطبيعية حينما تباغته الأعداء . فإنه يأخذ بضع خطوات الي
 الخلف لكي يجد مكاناً أفضل ونقطة ممتازة يستطيع منها أن يرى
 بوضوح كيف يسدد سهامه في قلب العدو . هكذا أنت أيضاً ،
 اجمع أفكارك الي الداخل واسترجع مشاعر الاتضاع بأنك لا
 شيء ، وانك عاجز أن تقوم بذاتك الي ما تطلبه هذه اللحظة ،
 تضرع الي الرب ، الذي كل شيء مستطاع لديه - بحرارة الثقة
 والدموع - مستغيثاً به ضد هجوم الأوجاع قائلاً : « قم
 عوناً لنا وافدنا من أجل رحمتك ، مز ٤٤ : ٢٦ .
 قاتل (يا يسوع) مقاتلي . امسك مجناً وترساً وانهض
 الي معونتي ... ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي
 . ليرتد الي الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتي ، مز
 ٣٥ : ١ ، ٤ . » أيتها العذراء الطاهرة اسبلي ذلك السريع

المعونة على عبدك ، وابعدى أمواج الأفكار الرديئة عنى « يا ملاك
حفظى استرنى بجناحك أمام سهام العدو واقطعهم بسيفك
وابعدهم عنى .

داوم على هذه التضمرات فتأتيك المعونة سريعاً ، وفى نفس
الوقت انتبه جداً لنفسك . إن العدو يعرف قوة مثل هذه
التضمرات لله ، لذلك يسرع كى يشوشها ويتلفها بمحاولة التذمر
لا شعورياً ضد الله لأنه سمح للعدو بمثل هذه الهجمات
الشديدة تلك التى اقتحمتك ، وجعلتك فى خطورة السقوط .
وبهذه الطريقة يتوق العدو أن يمنع ويوقف التجاعك الى الله
ويجعلك غير مستحق لمعونته . فمجرد شعورك بهذا التأثير
الشيطانى ، اسرع باسترجاع يقينك بأن الله غير مجرب بالشورور
وهو لا يجرب أحداً . ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع
من شهوته (يع ١ : ١٣ - ١٤) .

حينئذ افحص بالتدقيق فى أفعالك ومشاعرك وأفكارك
السابقة ، وستجد أنها هى التى أثارت هذه الزوبعة الداخلية
وجعلتك فى موضع الخطورة . لقد افترى العدو على الله وغطى
تراخيك أنت . فينبغى أن تؤمن جيداً فى ذاتك وتسلم بعدل الله
وألقي عنك ستر الرياء الذى غطاك به العدو . عليك أن تلقى اللوم

على نفسك بسبب عدم تحفظك ، واشفاقك على ذاتك ، تب
واعترف بخطيئتك الداخلية أمام الله ، وعد الى التضمرات التي
أوضحناها فتعود معونة الله عليك ، لأن الله على استعداد دائم
لمعونتك ، خصوصاً في مثل هذه الحالات .

بعد ذلك ، عندما تخدم العاصفة الداخلية ، ينبغي أن يستمر
القتال بحسب القواعد العامة للحرب الروحية كما ذكرت في
فصل سابق .

✦ ✦ ✦

ينبغي أن تستمر الحرب بشجاعة

إن أردت يا أخى أن تنال انتصاراً سريعاً وميسوراً على أعدائك ، عليك أن تثن حرياً بلا توقف وبشجاعة ضد كل أوجاعك ، لا سيما ضد حب الذات والتعلق الأحمق بنفسك الذى يتضح من تدليل الذات ، والاشفاق عليها ، لأن هذا أصل وأساس كل الأوجاع ولا يمكن تهذيبه إلا بالقصاص الذاتى العنيف والترحيب بالمظالم والحرمان والافتراءات والاضطهادات الآتية عليك من العالم ومن أهل العالم . إن الاشفاق على الذات هو السبب المباشر فى فشلنا فى الوصول الى الانتصارات الروحية ، وقلة هذه الانتصارات فى حياتنا ، وصعوبتها وتزعزعها راجع الى نفس السبب السابق .

لذا يجب أن تكون محارباتنا الروحية مستمرة بلا توقف . ومدعمة باليقظة وشجاعة النفس ، وهذه يمكن الوصول اليها بسهولة إن طلبتها كهبات من الله . فاستمر إنن فى المعركة بلا تردد . هل صادفتك الأفكار المتعبة عن كراهية العدو وخبثه الذى يضمه لك ؟ وهل روعك كثرة أجناد الشر ؟ فكر من ناحية أخرى فى قوة الله العظيمة ، وحبه لك ، كذلك فكر فى أجناد الملائكة السمايين غير المحصين ، وصلوات القديسين . فكل هؤلاء

يحاربون من أجلنا ومعنا سراً ، ضد أعدائنا كما هو مكتوب
« للرب حرب مع عماليق من دور الى دور ، (من جيل الى
جيل) مز ١٧ : ١٦ . كم من نساء ضعيفات وأطفال صغار تأهبوا
الجهاد حين فكروا في هذه المعونة اليومية القوية ! فتشددت
أياديهم ، ونالوا نصرة أعلى من منطق بشري وتفوق مكايد
الشرير وسائر خداعات الجحيم . فلا تخف إنن إن كانت أمواج
الأفكار تضايقك ، قائلة لك : إن العدو أقوى منك جداً وهجماته لا
تحتمل أو أن الحرب ستستغرق كل فترة الحياة ، وانك لا تستطيع
تجنب السقوط من كل الأنواع . اعلم أن أعدائنا وكل مكائدهم
في قبضة ربنا يسوع المسيح ، قائدنا الإلهي ، الذي تحارب أنت
من أجل مجده وعظمته . وإذ يقودك في المعركة بذاته ، فهو
بالتأكيد لا يسمح باستخدام العنف ضدك ، ولا يشاء أن تكون
مغلوباً من العدو ، ما لم تمل أنت بذاتك الى جانبهم بإرادتك . إنه
يحارب عنك بنفسه ويدفع أعدائك ليديك متى شاء كما هو مكتوب :
« لأن الرب الهك سائر في وسط محللتك لكي ينقذك
ويدفع أعدائك أمامك ، تث ٢٣ : ٤ ، فإن كان الله يتأخر في
منحك النصر الكاملة على أعدائك ويؤجلها الى آخر يوم في
حياتك . فثق أن هذا من أجل خيرك شخصياً مادمت لم تتراجع
أو تتوقف عن الجهاد من كل القلب . وحتى لو جرحت في المعركة
لا تلقِ بسلاحك بل عد الى القتال احتفظ بأمر واحد في عقلك

وضميرك أن تحارب بكل غيرة وشجاعة إذ لا مفر منها . ولا يستطيع أحد أن يفلت من هذه المحاربات مدة الحياة . فالذى لا يحارب ليغلب أوجاعه وأعداءه . سيؤسر الى السجن حتماً حيث يسلم للموت .

من المفيد أيضاً أن تضع فى ذهنك الغرض الذى من أجله سر الله أن يجعلنا فى حالة الحرب ، وفى العهد القديم حينما قاد الله اسرائيل الى أرض الموعد لم يأمرهم أن يفنوا كل الشعوب الساكنين فيها بل ترك خمسة قبائل أجنبية معادية لاسرائيل وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : كى يبرهن الشعب المختار على ثباتهم بالاعتقاد فيه وحفظ وصاياه بايمان .

ثانياً : كى يعلم شعبه فن المحاربة (قس ٢ : ٢١ - ٢٣ ، ٢ : ١ ، ٢) من أجل هذين السببين ترك الرب فينا أوجاعاً تحارب ضدنا حتى الموت نون أن يهلكها فى الحال ، أى لنبرهن على تمسكنا بحب الله وطاعتنا لإرادته ولكى يدرينا على المحاربات الروحية .

إن ثاؤبورس الطوباوى يتكلم فى هذا بالتفصيل قائلاً : إن الله يسمح بهذا من أجل الأهداف الآتية : ❖ كى يحمينا من السقوط فى الاهمال والتوانى ويجعلنا على النوام فى يقظة وحذر وانتباه .

❖ كي يذكرنا أن العدو على استعداد دائم ليهاجمنا لئلا نجد أنفسنا على غير توقع محاطين بالعدو مغلوبين بالأوجاع .

❖ كي نتطلع نحو الله دائماً سائلين وراجين معونته .

❖ كي لا نتكبر بل نفكر باتضاع في أنفسنا .

❖ كي نتعلم أن نكره أوجاعنا وأعداءنا المهاجمين لنا بلا هوادة لكرهم قلبياً .

❖ كي نبرهن على تمسكنا بمجد الله وحبه وإيمانه للنهاية .

❖ كي يحثنا ذلك على مراعاة وصايا الله بدقة ، ولا نغض الطرف عن أصغرها .

❖ كي نتعلم عن خبرة قيمة الفضيلة فلا نحيد عنها أبداً ساقطين في الخطية .

❖ كي تعطينا الحرب المستفزة امكانية الحصول على أكابيل أعظم وأعظم .

❖ كي نمجد الله ، ونخزي الشرير بصبرنا حتى النهاية .

❖ كي نتعود على الحرب أثناء الحياة ، فلا نخافها في ساعة الموت ، حينما نتعرض لأقصى الهجمات .

من أجل ذلك ، طالما نحن محاطون بأعداء كثيرين ،

يكرهوننا علانية ، فلا يمكن أن نتوقع أى سلام أو مهادنة أو
إمهال أو تأخير فى الهجمات . بل علينا أن نكون مستعدين لأى
هجوم فى أية لحظة ، ويلزم أن نصد العدو بشجاعة .

ومن الأفضل طبعاً ، أن لا نفتح على أنفسنا أبواباً يدخل
منها العدو والأوجاع الى قلوبنا وأفئسنا ، ولكن إذا وجدنا
طريقهم الينا ، فلا يمكننا أن نتراخى ، بل يجب أن نسلح نواتنا
ضدهم كي نطردهم عنا ، انهم عنيدون وبلا حياء ، لا يتركوننا إن
لم يطرؤوا بالقوة .

+ + +

كيف يتجهز محارب المسيح في الصباح للقتال

بمجرد أن تنهض في الصباح ، صلي قائلاً : « ياربى يسوع المسيح ، ابن الله ، ارحمني » ، وليكن عملك الأول هو أن تغلق على ذاتك في قلبك ، كي تأخذ وضع الاستعداد في ساحة القتال . وإذا حصنت نفسك هناك . ارفف شعورك لتحس بعدوك ، الحسيات الرديئة ، التي تحاربك في كل وقت . مستعدة هناك عن شمالك ومتأهبة لهجوم مفاجئ ، فانهض ضدهم بعزم ثابت بأنك إما أن تهزمهم أو تموت ، ولا تسلم أبداً . تحقق أيضاً أن قائدك واقفاً عن يمينك بصورة غير مرئية « ربنا يسوع المسيح ، مع أمه القديسة وطغمت الملائكة القديسين مع رئيس الملائكة ميخائيل ، مستعدين لمعونتك ، لذلك فليتشدد قلبك وكن طيب النفس .

أنظر ، ان رئيس العالم السفلى (الشيطان) قائم ضدك بقوات شره ، وابتدأ يلهب نيران الأوجاع ويزيدها اضطراباً ، محاولاً أن يخدعك بوعود شتى مشحونة رياءً من جهة الاشفاق على الذات ، كي يوقف جهادك ضد هذا الوجع ، ويجعلك تستسلم له مؤكداً لك أن هذا الاستسلام هو أفضل حل بالنسبة لك أما أنت فيجب عليك أن تتيقظ في ذاتك مستلهماً من الجانب اليمين انذار ملاك الحارس ، فهو يتحدث عن كل من هم

عن يمينك قائلاً : « أنت الآن في مواجهة معركة ضد أوجاعك وأعداء آخرين ، لا تخف ولا ترهب ، ولا تجعل الرعب سبباً في هرولك هارباً من ميدان القتال . لأن القائد ، ربنا يسوع المسيح قريب منك يحيط به القواد والرؤساء والجيوش غير المتجسدة ، وكل طغمات الملائكة القديسين ، مستعدين أن يحاربوا أعداك معك فلا تنهزم لهم كما فى الوعد : الرب سيحارب عنكم (حز ١٤ : ١٤) فاثبت إذن ، واغصب نفسك على عدم الاستسلام وليكن اشتياقك الصمود أمام التجربة التى داهمتك بكل الوسائل الممكنة داعياً من عمق قلبك « لا تسلمنى الى مرام مضايقى » (مز ٢٧ : ١٢) . تضرع لربك ، وتشفع بالسيدة العذراء القديسة وبكل الملائكة والقديسين ، ولا بد أن يأتى العون ، وتكون منتصراً لأنه مكتوب « اكتب اليكم أيها الأحداث (الجنود الشجعان البواسل) لأنكم قد غلبتم الشرير » (١ يو ٢ : ٣) ربما تكون ضعيفاً ، ومربوطاً بعبادات سيئة ، فى حين أن أعداك كثيرون وأقوياء ، ولكن عندك أنت معونة قوية ، ومن ذاك الذى خلقك وفداك . تذكر أنه لا شئ فى المعركة يضارع قوة الله الذى يحميك كما هو مكتوب : « الرب القدير الجبار . الرب الجبار فى القتال » (مز ٢٤ : ٨) .

وفوق كل هذا تيقن أن رغبة الله فى انقاذك تفوق كثيراً جداً

رغبة العدو في هلاكك فجاهد إنن ولا تكل من مشقات هذا القتال، لأن النصر تكتسب من هذه المشقات باخضاع ذاتك بالقوة، وغضبها بلا رحمة للابتعاد عن العادات الرديئة، رغماً عن الأثم، فهكذا يكون لك كنزاً عظيماً فتقتنى ملكوت الله، وتتحد نفسك مع الله الى الأبد.

هكذا، ابدأ جهادك مع الأعداء كل صباح باسم الله، متسلحاً بعدم الاعتماد على ذاتك، ويرجاء شديد في الله، وبصلاة، واغضب نفسك بلا رحمة على الأعمال الشاقة المناسبة وفوق كل شيء متسلحاً بصلاة العقل في القلب: يا ربى يسوع المسيح ارحمنى!، مستخدماً إياها كسيف نبي حدين في القلب فإن هذا الاسم يزعم الشيطان ويحطم الأوجاع، ويبعدهم عنا. هذا هو سبب قول يوحنا الدرجمي « اربط الأعداء باسم ربنا يسوع» وستحدث بمشيئة الله عن هذه الصلاة في فصل مقبل.

وأكرر أيضاً أنه مع هذه الأسلحة، اقطع ذاك العدو، ذاك الوجع، ذاك الميل الشرير الذي يهاجمك بالطريقة الموضحة في الفصل الثالث عشر، أى، عارض شهوتك الرديئة أولاً، بعد ذلك أكرهها وأخيراً مارس الفضيلة المعارضة لها عاملاً كل هذا في جو الصلاة، فيكون نشاطك مرضياً عند الله المتطلع اليك من

السماء متابعاً جهادك بصورة غير مرئية ، كى يتمجد فى جهادك
وفى انتصارك أيضاً .

ان هذه القتالات شاقة ومتعبة بدرجة كبيرة ولكن لا تحزن
ولا تضر فى واجبك بل ضع فى ذهنك أن هذا واجب علينا ، أن
نرضى الهنا هذا من جهة ، ومن جهة أخرى - كما قيل من قبل
- ان الحرب لا مفر منها إن أردنا أن نحيا ، لأنه بمجرد توقفنا
عن الحرب سنضرب مباشرة للموت .

فلا يضلنك العدو بالقول : « جارى شهواتك الرديئة ولو لمدة
ساعة ، ساعة فقط » بل تبصر فيما ستصير اليه لو ابتعدت
حياتك عن الله ، وتركت نفسك للملذات العالمية والمتع الجسدية ولو
لدقيقة واحدة ، يا للأهوال التى ستلاقيها آنذاك ، إنه لأمر مخيف
حقاً . وهل ستكون الساعة فقط ؟ إن الاحتمال الأرجح أن تمر
ساعة بعد ساعة وأنت فى ارتدادك بعيداً عن الله ، من يوم الي
يوم ، ومن سنة الى سنة .

ثم ماذا بعد هذا ؟ حتى لو رحمك الله وأعطاك فرصة
للرجوع الى نفسك كى تتخلص من فح هذا الشر ، مستيقظاً من
نعاس الخطية ، سيكون عليك أن تواجه نفس المعركة التى هربت
منها حين طلبت الراحة لذاتك ، مع اختلاف واحد هو أن المعركة
ستكون أشد ضراوة وقساوة ، بالاضافة الى كونها أقل نجاحاً .

ولكن إذا تركك الله في أيدي أعدائك ولمشورة نفسك فماذا
اذن ... سوف لا أكرر الكلام مرة أخرى ، ولكن ساكتفى بالقول:
تذكر فقط ماذا سيكون بعد حياة ضائعة في رباطات شهوات
الشر ، وبعد الزمان الذي تلذذت فيه الحواس بعيداً عن الفرح
الحقيقي ستأتى ساعة الموت فجأة - وتكون النفس في حالة
ذعر وفرع ، تلك الحالة التي حتى كلمة الله لم تصفها إلا بمجرد
القول : حينئذ يصرخون للجبال اسقطي علينا (رؤ ٦ : ١٦)
يصرخون بعد الموت حتى نهاية العالم الى ساعة الدينونة الأخيرة
ولكن بلا جدوى .

لذلك تعقل ، ولا تلق نفسك بمعرفتك في عذاب الجحيم
الأبدى كي تتجنب قتال قصير الزمن وممارسة الأعمال الروحية
إن كنت فهيماً وفطناً فمن الأفضل لك الآن أن تتحمل أعباء
ومشاق الجهاد الروحي كي تهزم أعدائك وتنال الكليلاً لا يفنى ،
وتكون متحداً مع الله هنا وفيما بعد - في ملكوت السموات .

+ + +

بأى نظام ينبغي أن تحارب أوجاعك ؟

من المفيد جداً يا أخى أن تعرف جيداً بأى نظام ينبغي أن تحارب أوجاعك كى تقوم بهذا العمل كأحسن ما يكون ، بدلاً من التخبط العشوائي كما يفعل بعض الناس ، دون نجاح يذكر بل أحياناً يضررون أنفسهم . ان التدبير الذى به تحارب أوجاعك ، وتقاتل شهواتك وأوجاعك الرديئة هو الآتى :

✚ أدخل الى قلبك وافحصه بانتباه ودقة لتعرف بأى أفكار وأهواء وأوجاع يرتبط وأى منها تشغله بنوع خاص ، وأى الأوجاع متسلطة ومتحكمة بطغيان أكثر .

✚ بعد ذلك تسلح أولاً وقبل كل شئ ، ضد هذا الوجد كى تتغلب عليه . وعلى هذا الوجد ركز كل انتباهك وتحفظك .

✚ فى الأوقات التى فيها تثور بعض الأوجاع الأخرى ينبغي أن تهتم بها على الفور .

✚ وبعد أن تبغده عنك بعيداً ، تعود مرة أخرى بكل أسلحتك ضد الوجد الرئيسى الذى دائماً يثبت وجوده وقوته . لأنه مثل كل نوع من المحاربات الروحية ، هكذا فى معركتنا غير المنظورة علينا أن نحارب ضد المهاجمين فى اللحظة الحالية .

كيف تعارب ضغوطات الأوجاع المفاجئة

يا حبيبي ، إن كنت لم تتعود بعد أن تغلب ضغوطات الأوجاع المفاجئة التي تقترحك . حين تثور مثلاً عن طريق إهانات أو احتكاكات ، إنى أنصحك أن تفعل هكذا : تدرب كل صباح ، وأنت لم تزل في البيت ، على أن تستعرض في ذهنك كل المواقف المحتمل أن تقابلها أثناء النهار سواء كانت مواقف حسنة أم مواقف سيئة . وتمثل في ذهنك ضغوطات الأوجاع والشهوات والمثيرات التي ربما تهيج فيك ، حينئذ أعدد في نفسك قبل الوقت كيف تخمدتها من أول بدئها دون أن تسمح لها بالاستمرار . إن فعلت هذا ، فسوف لا تؤخذ على غرة بأي حركة من حركات الأوجاع بل ستكون مستعداً بأن تقاومها ، فلا غضب مفاجئ يزعجك ، ولا إغراء شهوة تحدث لك اضطراباً .

إن هذا التدريب - أي استعراض المواقف المحتمل وقوعها لا بد منه خصوصاً حينما تتأهب للقيام كي تذهب إلى الأماكن التي تضطرب منها ، أو لتقابل الأشخاص الذين يستميلوك أو يثيروك . بهذا الاستعداد سيسهل عليك أن تتحاشى كليهما . وإن ثارت موجة من الوجع فستعبر فوق رأسك ، أو تتحطم عندك كما على صخرة ، ولكنها لا تحملك معها كالقارب الرقيق . وهوذا النبي

المختبر داود يقنعك بهذا فقد قال من جهة الغضب : اسرعت
(استعديت) ولم أتوان لحفظ وصاياك (مز ١١٩ : ٦٠) .

ولكن هذا الاستعداد ، ليس هو كل شيء . ان الأوجاع لم
تزل قادرة على الاقتحام المفاجئ . فى هذه الحالة افعل ما يلى :
بمجرد أن تشعر بضغط وجع سواء لشهوة أو استتارة . اسرع
فى قمعها بمحاولات الارادة ، انزل الى قلبك بانتباه العقل ،
وحاول بكل الطرق الممكنة أن لا تدع الوجع يدخل الى القلب .
انتبه لتمنع اثاره قلبك بالمثير ، وتعوق انجذابه للجذاب . وحتى إن
حدث أحد الأمرين فجأة ، وتولد فى القلب ، ابدأ فى منعه من
الخروج خارجاً (إن أحسست بالغضب مثلاً فى القلب) فلا تعبر
عنه سواء بكلمة أو نظرة أو اشارة .

بعد ذلك اغضب عقلك وقلبك أن يرتفعا الى الله فى الأعالى
وحينما تستعيد صفاء ضميرك ، وشعورك بحب الله غير المحدود
وحقه العادل ، حاول أن تتقياً حركة الوجع ليحل محلها الخير
المضاد .

ربما يصعب إتمام ذلك بدقة ونجاح ، إذا كانت المسألة
مواجهة مع شخص ما ولكن لا تتوانى طالما نيتك حسنة ، وحاول
أن تفعل قدر استطاعتك ، فحتى لو فشلت مرة وفى ذهنك هذا
التدريب فسيأتى الوقت الذى تتخلص فيه من هياجات الأوجاع .

ولكن احرص جداً أن لا تظهر الوجد الذي يشور في داخلك ،
لأنك بهذه المحاولة ستمنع تقدمه . وبمجرد ما ينتهي تيار
الضغوطات الشريرة ، اسرع بالدخول الى قلبك واطرد الحية التي
زحفت ووجدت طريقها الى قلبك .

ولكن أكفاً وأفضل حماية ضد اثار الأوجاع فجأة ، هو
التخلص من المسببات المولدة لهذه الحركات دائماً . هذه المسببات
على نوعين : محبوبة ومكروهة .

إن كنت يا حبيبي متعلقاً ومأسوراً بحب لشخص ، أو ارتباط
مع أحد مهما كان كبيراً أم صغيراً ، فمن الطبيعي أنك ستشور
حين تتقابل مع مثل هؤلاء ، أو تراهم مهانين أو قد لحقهم ضرر ،
أو أن أحد يريد إبعادهم عنك وسرقتهم منك . فهذا يجعلك تشور
وتضطرب وتتعارك مع الذين يفعلون هذه . لذلك إن أردت أن
تتحرر من هذه المعكرات المفاجئة فاحرص أن تتغلب على هذا
الانجذاب وتقتلع من قلبك ذاك الارتباط الخاطي . وبمقدار ما
تنفض يديك وتبعد نفسك عن هذا بمقدار ما يكون ذهنك مترناً ،
وتصل الى الاعتدال والتعقل بالنسبة للأشياء والناس . وكما
قويت انجذاباتك وارتباطاتك كلما زادت حالات اثارائك المفاجئة كما
أوضحنا .

ينفّس الطريقة إن كنت تحس بكراهية نحو شخص ما أو

نفور من شيء ما فمن الطبيعي أن يثار فيك مشاعر الحنق والضيق فجأة إن قابلته ، وعلى الأخص إن سمعت أحدهم يمدحه . لذلك ، إن أردت أن تحتفظ بسلام قلبك في مثل هذه الحالات أقصر ذاتك على إخماد هذه المشاعر الرديئة ، ثم ابادتها جميعاً .

يساعدك على هذه الأفكار الآتية : بالنسبة للناس ، اعلم أنهم خبيثة الله ، مخلوقون مثلك على صورة الله ومثاله ويملاء اليد القوية التي لله الحي . انهم مفديون ومجددون بدم المسيح ربنا الثمين . فهم اخوتك وأعضاء مشاركة معك ، فمن الخطأ أن تكرههم حتى في فكرك كما هو مكتوب : لا تبغض أخاك في قلبك ، (لا ١٩ : ١٧) عليك أن تتذكر هذا بنوع خاص حتى لو بدا لك أنهم مستحقون للكراهية والازدراء . فإنك إن أظهرت لهم صداقة وحباً تكون بفعلك هذا متشبهاً بالله الذي يحب خليقته كلها ولا يحتقر شيئاً منها كما يقول سليمان الحكيم في تمجيد الله : لأنك لا تحب الموجودات كلها ولم ترنل شيئاً مما خلقت ولا بغضت شيئاً مما خلقت (حكمة ١١ : ٢٥) وبالرغم من خطايا البشر فهو يشرق شمسسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين (متى ٥ : ٤٥) .



+ + +

انتهى الجزء الأول من الكتاب وتتبعه أجزاء أخرى
فاحرص على اقتنائها لكي تجعلها في مجلد واحد

+ + +

أودع بدار الكتب تحت رقم ٤٩٦٤ لسنة ١٩٧٠



قرش جنينة
١٤٥٠

تطلب من كنيسة مارجرس بأسبورتنج ت : ٥٩٦٩٨٨٨ (٠٣) فاكس : ٥٩٥٢٨٨٨ (٠٣)